



www.
www.
www.
www.
Ghaemiyeh.com
.org
.net
.ir



ابوالشداد الحسين بن علي عليه السلام

عباس محمود العقاد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

ابو الشهداء الحسين بن علي

كاتب:

عباس محمود العقاد

نشرت فى الطباعة:

المجمع العالمى للتقرير بين المذاهب الاسلامية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	ابوالشهداءالحسينبن على عليهما السلام
٨	اشارة
٨	مقدمة الناشر
٩	مقدمه المؤلف
٩	طبع الناس
١٣	اسباب التنافس و الخصومة
١٣	اشارة
١٤	اهداف معاوية
١٥	خلافة يزيد
١٦	زواج الحسين
١٧	الخصمان
١٧	موازنة
١٨	اختلاف النشأة
١٩	مكانة الحسين
٢٠	صفات الحسين
٢١	خلق كريم
٢٢	وفاء و شجاعة
٢٢	خلق يزيد
٢٤	اعوان الفريقين
٢٤	رجال المعسكرين
٢٦	خروج الحسين
٢٦	الحسين في مكة

٢٧	السفر الى العراق
٢٨	مقتل مسلم بن عقيل
٢٩	طلاع الفشل
٣٠	الحسين و الحر بن يزيد
٣١	عمر بن سعد
٣٢	شمر بن ذي الجوشن
٣٣	هل اصاب
٣٤	خطأ الشهداء
٣٥	بواطن الخروج
٣٦	مصرع و انتصار
٣٧	صواب الشهداء
٣٨	الناس عبيد الدنيا
٣٩	كربلاء
٤٠	الحرم المقدس
٤١	نموت معك
٤٢	حرب النور و الظلام
٤٣	ما ثم مخزية
٤٤	تخاذل و ضعف
٤٥	شجاعة جند الحسين
٤٦	مصرع الحسين
٤٧	خمسة و وحشية
٤٨	جزيره كربلاء
٤٩	موطن الرأس
٥٠	وقاحة ابن زياد

٤٧	على زين العابدين
٤٨	الرأس عند يزيد
٤٨	تبعه يزيد
٤٩	ثورة المدينة
٥٠	جريدة العدل
٥١	نهاية المطاف
٥١	من الظافر
٥٤	ابوالشهداء
٥٤	عاشق الجمال
٥٦	بأورقى
٥٦	تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

ابوالشهداءالحسينبنعلي عليهما السلام

اشارة

سرشناسه : عقاد، عباس محمود، ١٨٨٩ - ١٩٦٤ م.

Aqqad, Abbas Mahmud

عنوان و نام پدیدآور : أبوالشهداءالحسينبنعلي / عباس محمود العقاد؛ تحقيق محمد جاسم الساعدي.

مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الاسلامية ، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية ، المعاونيه الثقافية، ١٤٢٨ = ٢٠٠٧ م = ١٣٨٦.

مشخصات ظاهري : ٢٩٦ ص.

شابک : ٢٩٠٠٠ ریال : ٩٧٨-٩٦٤-١٦٧-٠١٠-٠.

يادداشت : عربي .

يادداشت : چاپ قبلی: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الاسلامية ، مديرية النشر والمطبوعات: ١٣٨٢ در ٤٢٢ ص.

يادداشت : كتابناهه: ص. [٢٦٧] - ٢٩١؛ همچنین به صورت زیرنویس .

يادداشت : نمایه.

موضوع : حسين بن علي(ع)، امام سوم، ٤ - ٦٤ق.

موضوع : واقعه كربلا، ٦٤ق.

شناسه افروده : ساعدي، محمد جاسم، محقق

شناسه افروده : مجمع جهانی تقریر مذاهب اسلامی . مركز مطالعات و تحقیقات علمی . معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره : BP٤١/٥ ح٧/٤١٣٨٦

رده بندی دیویی : ٩٥٣٤/٢٩٧

شماره کتابشناصی ملی : ١١٥٣٧٩٦

مقدمة الناشر

سيرة أبوالشهداء، الحسين بن علي، سيرة مجيدة أضاف كثير من المؤلفين والكتاب والأدباء في الكتابة عنها؛ ولكن لا نعتقد أن أحداً منهم قد أوفاها حقها كما أوفاها « Abbas Mahmoud Al-Uqad » في هذا الكتاب الذي تفخر بتقادمه ليوم إلى الملائكة من القراء في العالمين العربي والإسلامي... لم يكن الصراع بين الإمام الشهيد ويزيد بن معاوية صراعاً بين رجلين انتهى باستشهاد أحدهما وفوز الآخر بما خيل له و لأنصاره أنهم قد فازوا به، بل كان صراعاً بين خلقين خالدين، و جولة من جولات هذين الخلقين اللذين تجاولاً أحقاها ولا يزالان يتجاولان. كان صراعاً بين الخير والشر، بين الكرم واللؤم، بل بين أشرف ما في الإنسان وأوضع ما يمكن أن تبتلي به النفس البشرية.... كان أبوالشهداء يؤمن بأقوى اليمان بأحكام الإسلام، و يعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق بالإسلام وبأهلة و بالأمة الإسلامية قاطبة في حاضرها و مستقبلها، و كان للعقيدة الدينية في وجدانه قدسيتها و للامان العميق بالله وبالحق في نفسه رسوخه و قوته.. فكان اعترافه على هذا الزيف الذي لم تشهد الأمة زيفاً مثلاً من قبل، و كانت غضبته على الانحراف و الغدر والاستهتار بقيم الدين ممثلة كلها في ولائية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، [صفحة ٦] فكانت حركته، و سلكت طريقها الذي لابد لها أن تسلكه، و ما كان لها قط من مسلك سواه... و كانت الحرب.... حرب بين قلة لبت داعي المروءة والأريحية و الحق لا تعترض

الاـ- بايمانها بالله و بنصره، و تنفاني في نصرة الامام الشهيد و تأبى الاـ أن تستشهد دونه ابتغاء مرضاه لـ؛ و آلاف مدججـةـ بالعتاد و السلاح لم يـؤلفـ بينها الاـ الطـمعـ في رضا سلطـانـ اوـ فـيـ غـنـيـمةـ تصـيـبـهاـ حتـىـ وـ لوـ كـانـتـ غـنـيـمةـ النـجـاةـ منـ غـضـبـ زـبـانـيـهـ يـزيـدـ وـ اـنتـقامـهـ مـمـنـ لاـ يـحـارـبـ وـ يـقـتـلـ، بلـ مـمـنـ لـاـ يـعـمـنـ فـيـ الـاجـرـاءـ وـ الـوحـشـيـهـ وـ التـكـيـلـ بـآلـ الـبيـتـ الـكرـامـ..وـ غـلـبـتـ كـثـرةـ الـبـاطـلـ قـلـةـ الـحـقـ، وـ اـسـتـشـهـدـ الـحـسـينـ؛ ليـصـبـ بـكـرـامـةـ الـشـهـادـهـ وـ كـرـامـةـ الـبـطـولـهـ وـ كـرـامـةـ الـأـسـرـهـ الـنبـويـهـ الشـرـيفـهـ، معـنىـ كـرـيمـاـ يـحـضـرـهـ كـلـ مـسـلـمـ فـيـ صـدـرـهـ، بلـ وـ كـلـ اـنـسـانـ يـعـرـفـ قـدـرـ الشـهـادـهـ فـيـ سـيـيلـ الـحـقـ، وـ قـيـمـةـ بـذـلـ الـحـيـاهـ فـيـ سـيـيلـ مـاـ هـوـ أـدـومـ مـنـ الـحـيـاهــ [صفـحـهـ ٧]

مقدمة المؤلف

يسـرنـيـ أـقـدـمـ إـلـىـ حـضـرـاتـ الـقـرـاءـ هـذـهـ الطـبـعـةـ مـنـ كـتـابـ «ـأـبـيـ الشـهـادـاءـ»ـ وـ يـعـظـمـ رـجـائـيـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ أـيـدـ كـثـيرـةـ غـيرـ التـيـ وـصـلـ إـلـيـهـاـ فـيـ طـبـاعـةـ السـابـقـةـ، وـ أـنـ يـتـحـقـقـ لـهـ مـنـ عـمـومـ الرـسـالـةـ بـهـذـهـ المـاثـبـةـ مـاـ يـتـمـنـاهـ كـلـ مـؤـلـفـ لـكـلـ كـتـابـ يـرـيدـ رسـالـةـ مـنـ الرـسـالـاتـ.ـ لـيـسـ مـنـ عـادـتـيـ أـنـ أـطـلـعـ فـيـ كـتـبـيـ بـعـدـ الفـرـاغـ مـنـ طـبـعـهـاـ، وـ يـتـفـقـ أـنـ تـمـضـىـ السـنـوـاتـ دـوـنـ أـنـ أـلـقـىـ عـلـيـهـاـ نـظـرـةـ لـغـيرـ مـرـاجـعـةـ عـاجـلـةـ،ـ فـاـذـاـ حـدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ أـنـظـرـ فـيـهـاـ لـتـقـدـيمـهـاـ إـلـىـ طـبـعـةـ جـديـدـةـ،ـ أـمـكـنـيـ أـنـ أـشـعـرـ بـهـاـ شـعـورـ الـقـارـيـءـ الـذـيـ يـطـلـعـ عـلـيـهـاـ لـأـوـلـ مـرـةـ،ـ بـعـدـ أـنـ شـعـرـتـ بـهـاـ شـعـورـ الـمـؤـلـفـ الـذـيـ اـمـتـلـأـ بـهـاـ وـ أـدـارـهـاـ فـيـ نـفـسـهـ عـدـهـ مـرـاتـ.ـ وـ قـدـ اـسـتـغـرـبـ مـنـهـاـ أـمـورـاـ كـالـتـيـ يـسـتـغـرـبـهـاـ الـقـراءـ الـذـينـ يـحـكـمـونـ عـلـىـ مـوـضـوعـاتـهـاـ حـكـمـ «ـأـلـجـانـبـ الـغـرـيـبـاءـ»ـ..ـ عـجـباـ!ـ انـ مـشـكـلـةـ الـحـيـاةـ الـكـبـرـىـ لمـ تـغـيـرـ مـنـذـ أـلـفـ وـ ثـلـثـمـائـةـ سـنـ،ـ وـ لـمـ تـزـلـ الـحـربـ عـلـىـ أـشـدـهـاـ بـيـنـ خـدـامـ أـنـفـسـهـمـ وـ خـدـامـ الـعـقـائـدـ وـ الـأـمـثـلـةـ الـعـلـيـاءـ،ـ وـ لـمـ يـزـلـ الشـهـادـاءـ يـصـلـونـهـاـ نـارـاـ حـامـيـةـ مـنـ عـبـيدـ الـبـطـونـ وـ الـأـكـبـادـ،ـ وـ لـمـ يـزـلـ «ـدـاؤـنـاـ الـعـلـيـاءـ»ـ كـمـاـ قـالـ أـبـوالـعـلـاـمـ!ـ..ـ كـانـ هـذـاـ شـعـورـيـ بـكـتـابـ «ـأـبـيـ الشـهـادـاءـ»ـ حـينـ قـرـأـتـهـ مـنـ جـديـدـ لـتـقـدـيمـهـ إـلـىـ [ـصـفـحـهـ ٨ـ]ـ هـذـهـ طـبـعـةـ مـسـكـيـنـهـ هـذـهـ الـأـنـسـانـيـةـ!ـ..ـ لـاـ تـزـالـ فـيـ عـطـشـ إـلـىـ دـمـاءـ الشـهـادـاءـ،ـ بـلـ لـعـلـ الـعـطـشـ الـشـدـيـدـ يـزـدـادـ كـلـمـاـ اـزـدـادـتـ فـيـهـاـ آـفـاتـ الـأـثـرـةـ وـ الـأـنـسـانـيـةـ وـ نـسـيـانـ الـمـصـلـحـةـ الـخـالـدـةـ فـيـ سـيـيلـ الـمـصـلـحـةـ الـزـائـلـةـ،ـ أـوـ لـعـلـ الـعـطـشـ الـشـدـيـدـ إـلـىـ دـمـاءـ الشـهـادـاءـ يـزـدـادـ فـيـ هـذـاـ الزـمـنـ خـاصـةـ دـوـنـ سـائـرـ الـأـزـمـنـةـ الـغـابـرـةـ،ـ لـأـنـهـ الزـمـنـ الـذـيـ وـجـدـتـ فـيـ الـوـحدـةـ الـأـنـسـانـيـةـ وـجـودـاـ مـادـيـاـ فـعـلـيـاـ وـ أـصـبـحـ لـزـاماـ لـهـاـ أـنـ تـوـجـدـ فـيـ الـضـمـيرـ وـ فـيـ الـرـوـحـ كـمـاـ وـجـدـتـ فـيـ الـخـرـيـطـةـ الـجـغـرـافـيـةـ وـ فـيـ بـرـامـجـ السـفـنـ وـ الـطـائـرـاتـ.ـ الـوـحدـةـ الـأـنـسـانـيـةـ الـيـوـمـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ عـمـلـيـةـ،ـ وـ لـكـنـهاـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ عـمـلـيـةـ فـيـ كـلـ شـيـءـ الـأـفـالـىـ فـيـ ضـمـيرـ الـإـنـسـانـ وـ رـوـحـ الـإـنـسـانـ.ـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ فـيـ اـشـتـبـاكـ الـمـصـالـحـ الـتـجـارـيـةـ،ـ وـ فـيـ اـتـصـالـ الـأـخـبـارـ بـيـنـ كـلـ نـاحـيـةـ مـنـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ وـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ..ـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ فـيـ اـعـصـابـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ اـذـ صـحـ هـذـاـ التـعـبـيرـ،ـ فـلاـ يـضـطـرـ عـصـبـ مـنـ اـعـصـابـهـ فـيـ أـقـصـىـ الـأـرـضـيـةـ وـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ.ـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ فـيـ كـلـ شـيـءـ الـأـفـالـىـ فـيـ ضـمـيرـ الـمـشـرـقـ حـتـىـ تـتـد~اعـىـ لـهـ سـائـرـ الـأـعـصـابـ فـيـ أـقـصـىـ الـمـغـرـبـ وـ فـيـ أـقـصـىـ الـشـمـالـ وـ الـجـنـوبـ.ـ حـقـيقـةـ وـاقـعـيـةـ فـيـ كـلـ شـيـءـ الـأـفـالـىـ فـيـ ضـمـيرـ الـإـنـسـانـ وـ رـوـحـ الـإـنـسـانـ،ـ وـ هـذـاـ هـوـ الـمـهـمـ وـ الـأـدـهـمـ اـذـ أـرـيـدـتـ لـلـإـنـسـانـيـةـ وـحدـةـ صـحـيـحةـ صـالـحـةـ جـديـرـهـ بـالـدـوـامـ..ـ وـ لـنـ تـوـجـدـ هـذـهـ الـوـحدـةـ اـذـ وـجـدـ الشـهـادـاءـ فـيـ سـيـيلـهـاـ.ـ فـأـنـعـمـ بـمـقـدـمـ «ـأـبـيـ الشـهـادـاءـ»ـ مـنـ جـديـدـ لـتـقـدـيمـهـ كـبـيرـ مـنـ بـنـيـ الـإـنـسـانـ،ـ لـعـلـمـ يـقـدـمـونـ رـسـالـتـهـ خـطـوـةـ وـاحـدـةـ اوـ خـطـوـاتـ فـيـ سـيـيلـ الـيـقـيـنـ وـ الـعـمـلـ الـخـالـصـ لـوـجـهـ الـحـقـ وـ الـكـمالـ.ـ نـتـفـاءـلـ اوـ لـاـ نـتـفـاءـلـ..ـ نـتـشـاءـمـ اوـ لـاـ نـتـشـاءـمـ..ـ لـيـسـ هـذـهـ هـيـ الـمـسـأـلـهـ،ـ وـ اـنـمـاـ الـمـسـأـلـهـ هـيـ اـنـ طـرـيـقـ التـفـأـلـ مـعـرـوفـ وـ طـرـيـقـ التـشـاؤـمـ مـعـرـوفـ،ـ فـلـاـ تـتـحـقـ مـصـلـحـةـ الـإـنـسـانـيـةـ اـذـ عـمـلـ لـهـاـ كـلـ فـرـدـ [ـصـفـحـهـ ٩ـ]ـ مـنـ أـفـرـادـهـ،ـ وـ هـانـتـ الشـهـادـاءـ مـنـ أـجـلـهـاـ عـلـىـ خـدـامـهـاـ،ـ وـ تـقـدـمـ الصـفـوـفـ مـنـ يـقـدـمـ عـلـىـ اـسـتـشـهـادـ وـ مـنـ وـرـائـهـ مـنـ يـؤـمـنـ بـالـشـهـادـهـ وـ الشـهـادـاءـ.ـ لـاـ عـظـهـ وـ لـاـ نـصـيـحـهـ،ـ وـ لـكـنـهاـ حـقـيقـةـ تـقـرـرـ كـمـاـ تـقـرـرـ الـحـقـاـقـ الـرـیـاضـیـهـ.ـ فـلـاـ بـقاءـ لـلـإـنـسـانـیـهـ بـغـیرـ الـاسـتـشـهـادـ..ـ وـ فـيـ هـذـهـ الـآـوـنـهـ الـتـيـ تـرـددـ فـيـهـاـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ فـيـ كـلـ زـاوـيـهـ مـنـ زـوـاـيـاـ الـأـرـضـ نـلـتـفـتـ نـحنـ أـبـنـاءـ الـعـرـبـيـهـ الـذـيـ ذـكـرـيـ شـهـيـدـهـاـ الـأـكـبـادـ فـنـحـنـىـ الرـئـوـسـ اـجـلـاـلـاـ «ـأـبـيـ الشـهـادـاءـ»ـ..ـ عـبـاسـ

مـحـمـودـ العـقادـ [ـصـفـحـهـ ١١ـ]

يتناوب طبائع الناس مزاجان متقابلان: مزاج يعمل أعماله للأريحية و النخوة، و مزاج يعمل أعماله للمنفعة و الغنيمة. و المزاجان لا ينفصلان كل الانفصال.. فقد تقتربن الأريحية بالمنفعة، و تقتربن المنفعة بالأريحية، و لكنهما اذا اصطدمتا - و لا سيما في الأعمال الكبيرة - لم يعسر عليك أن تفصل المزاجين و تعزل المعسكرين. فهذا للأريحية حتى يجب المنفعة و يخفيفها، و هذا للمنفعة حتى يجب الأريحية و يخفيفها... أو كذلك يتراءيان. و أصحاب المطالب الكبرى في التاريخ يعتمدون على هذا المزاج كما يعتمدون على ذاك.. فمنهم من يتسلل إلى الناس بما فيهم من الجشع و الخسارة و قرب المأخذ و سهولة المسعى، و منهم من يتسلل إلى الناس بما فيهم من طموح إلى النبل و النجدة و ركوب المخاطر و نسيان الصغائر في سبيل العظائم.. [صفحة ١٢] و لكل منهم سبيلاً إلى التفوس و أمله في النجاح على حسب الأوقات و البيئات.. الا أن الأريحية أخلد من المنفعة بسنة من سنن الخلق التي لا تتبدل مع الأوقات و البيئات.. لأن منفعة الإنسان وجدت لفرد من الأفراد.. أما الأريحية التي يتتجاوز بها الإنسان منفعة فقد وجدت للأمة كلها أو للنوع الإنساني كله. و من ثم يكتب لها الدوام إذا اصطدمت بمنفعة هذا الفرد أو ذاك.. و لقد يبدو من ظواهر الأمور أن الأمر على خلاف ما نقول، لأن الحريص على منفعته يبلغها و يمضى قدماً إليها، فينال المنفعة التي لا ينالها صاحب الأريحية لأنها يتركها إذا اصطدمت بما هو أجل منها. و هذا صحيح مشهود لا مرأء فيه.. و لكن النجاح في الحركات التاريخية لن يسمى نجاحاً إذا هو لم يتتجاوز حياة فرد أو طائفة من الأفراد. فإذا قيل أن حركة من الحركات التاريخية قد نجحت، فمعنى ذلك بداهة أن الأفراد القائمين بها يذهبون و هي الباقيه بعد ذهابهم.. و من هنا يصبح أن يقال إن الأريحية أبقى و أنجح إذا هي اصطدمت بالمنفعة الفردية، لأن ذهاب الفرد هنا أمر مفروغ منه بعد كل حساب، سواء أكان حساب الأريحيين أم حساب النفعيين. و أصحاب الأريحية إذن وبعد نظراً من دهاء الطامعين و النهازين [صفحة ١٣] للفرص و المغانم العاجلة، لأنهم خلقوا بفطرتهم على حساب أعمار تتتجاوز حساب عمرهم القصير. فهم - شعروا أو لم يشعروا - بعيدون النظر إلى عواقب الأمور، و ان خيل إلى أناس أنهم طائشون متهمون. أما موقف المؤرخين في العطف على حركات التاريخ فهو على ما نرى موقف مزاج من هذين المزاجين، و ليس بموقف سهل من سبل البحث أو مذهب من مذاهب التفكير.. فالذين يجنحون بمزاجهم إلى المنفعة يفهمون أعدار المتعفين و ينكرون ملامتهم على ناقدיהם.. و الذين يجنحون بمزاجهم إلى الأريحية يفهمون دوافع النخوة و يحسبونها عذراً لأصحابها أقوى من غواية المنافع والأرزاق.. الا أن الصواب هنا ظاهر جد الظهور لمن يريد أن يراه: الصواب أن العطف على جانب المنفعة عبث لا.. يعني له و لا.. حكمه فيه. و ان العطف على جانب الأريحية واجب يخشى على الناس من تركه و اهماله، اذ كان تركه مناقضاً لضميم الفطرة التي من أجلها فطر الناس على الاعجاب بكل ما يستحق الاعجاب. فليس يخشى على الناس يوماً أن ينسوا منافعهم و يقصروا في خدمته [صفحة ١٤] أنفسهم، سواء عطف عليها المؤرخون أو أغروا عنها ساخرين منكرين. و لكنهم يخسرون الأريحية اذا فقدوها و فقدوا الاعجاب بها و التطلع إليها، و هي التي خلقت ليعجب بها الناس. لأن حرص الإنسان على منفعته لا يغيبه في حياتهم العامة او في حياتهم الباقيه. أما الأريحية التي يتتجاوز بها الإنسان نفسه في سبيل معنى من المعانى أو مثل عال من الأمثلة العليا، فهي الخلقة النافعة للنوع الانسانى بأسره، و ان جاز اختلافهم في كل معنى و في كل مثل عال.. صراع بين الأريحية و المنفعة في ماضى الشرق و حاضره كثير من الحركات التاريخية التي وقع الصدام فيها بين الأريحية و المنفعة على أكثر من غرض واحد.. و لكننا لا نحسبنا مهتمدين إلى نموذج لهذا الصدام أوضح في المبادئ و أهدى إلى النتائج و أبين عن خصائص المزاجين معاً من النموذج الذي عرضه لنا التاريخ في التزاع بين الطالبيين والأمويين، و لا.. سيما التزاع بينهما على عهد الحسين بن علي و يزيد بن معاوية. قلنا في كتابنا «عقبريّة الإمام» ما فحواه ان الكفاح بين على و معاوية، لم يكن كفاحاً بين رجلين أو بين عقليين و حيلتين.. و لكنه كان على الحقيقة كفاحاً بين الامامة الدينية و الدولة الدينية، و ان الأيام كانت أيام دولة دنيوية فغلب الداعون إلى هذه الدولة من حزب معاوية، و لم يغلب الداعون إلى الامامة من حزب الإمام. [صفحة ١٥] و لو حاول معاوية ما حاوله على لأخفق و ما أفلح، و لو أراد على أن يسلك غير مسلكه لما أفاده ذلك شيئاً عند محبيه و لا عند مبغضيه. فإذا جاز لأحد أن يشك في هذا الرأي، و أن يرجع بنجاح معاوية إلى شيء من مزاياه الشخصية فذلك غير جائز في الخلاف بين الحسين و يزيد. و كل ما يجوز

هنا أن يقال ان أنصار الدولة الدنيوية غلبو انصار الامامة على سنة الخلفاء الراشدين، لأن مطالب الامامة غير مطالب الزمان. ما من أحد قط يزعم أن الصراع هنا كان صراعاً بين رجلين أو بين عقلين و حيلتين. وإنما هو الصراع بين الامامة والملك الدنيوي، أو بين الأريحية والمنفعة في جولتهما الأولى، ولم يكن ليزيد قط فضل كبير أو صغير بما بلغه من الفوز والغلبة.. بل لا يمكن أن يتعلل أحد هنا بما يتعلل به أنصار المنافع عاملاً من «تقريره للنظام و حفظه للأمن العام»... فان يريد لم يكن له فضل قط في قيام الدولة كما قامت على عهده وبعد عهده. وإنما كانت الدولة تتماسك برغبة الراغبين في بقائها لا بقدرة الأمير المشرف عليها. وقد حدث بعد موت يزيد أن بويع ابنه معاوية الثاني بالشام - و كان من الزاهدين في الحكم - فنادي الناس إلى صلاة جامعة، وقال لهم: «أما بعد فاني قد ضعفت عن أمركم فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم، [صفحة ١٦] فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم» ثم أوى إلى بيته و مضت شؤون الدولة على حالها حتى مات بعد ثلاثة أشهر، و له مع هذا منافس قوي كعبد الله بن الزبير بالحجاج. فلا وجه للمفاضلة بين الحسين بن علي و يزيد بن معاوية.. و رأى معاوية و أعونه في هذا أسبق من رأى الطالبيين و خصوم الأمويين، فقد ترددوا كثيراً قبل الجهر باختيار يزيد لولاية العهد و بيعة الخلافة بعد أبيه. و لم يستحسنوا ذلك قبل ازجادهم النصوح إلى يزيد غير مرأة بالاقلاع عن عيوبه و ملاهيءه. ولما أنكر بعض أولياء معاوية جرأة الحسين عليه في الخطاب، وأشاروا عليه أن يكتب له كتاباً «يصغر إليه نفسه».. قال: «و ما عسيت أن أغيب حسينا؟... و الله ما أرى للعيوب فيه موضع». و ثم تعلل أخرى بتعلل بها المفاضلون بين علي و معاوية و لا موضع لها في المفاضلة بين ولديهما الحسين و يزيد. و تلك ما يزعمونه من غلبة معاوية و على «علي» بحجه في الانفاعة و نشاطه أو نشاط أصحابه في الدعوة السياسية.. فهذه التعلل ان صلحت لتعليق نجاح معاوية، فما هي بصالحة لتعليق نجاح يزيد.. لأن الذين انخدعوا أو تخدعوا للصيحة التي صاح بها معاوية في المطالبة بدم عثمان، كانوا يرددون هذه الصيحة و يساعدونه على ترددها حقد الثأر المزعوم و سورة العصبية المحتاجة، ثم يساعدونه على ترددها [صفحة ١٧] في مبدأ الأمر أن معاوية لم يكن مجاهراً بطلب الخلافة و لا متعرضاً لمزاجمة أحد على البيعة، وإنما كان يتثبت بمقتل عثمان و المطالبة بدمه، و لا يزيد في دعواه على ادعاء ولاية الدم و صلة القرابة. و لكن الصائحين بهذه الصيحة مع معاوية قد عاشهوا حتى رأوا بأعينهم مبلغ الغيرة على تراث عثمان، و علموا أن الملك هو الغرض المقصود من وراء تلك الفتنة والأحزان، و إن معاوية لا يقنع بأن يملك نفسه حتى يورث الملك ولدته من بعده، و ليس هو من بعده، و ليس هو من أهل الرأي و لا هو من أهل السلاح و لا هو من تتفق عليه آراء هؤلاء، لكنه فتي عريض يقضى ليله و نهاره بين الخمور و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و النساء إلا ليهرع إلى الصيد فيقضي فيه الأسبوع بعد الأسبوع بين الأديرة و البوادي و الأجاج، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً لملكه و لا تدريباً على حكمه و لا استطلاعاً لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقة بما صار إليه من التمهيد و التوطيد و ما سوف يصير. فكل خلاف جاز في المفاضلة بين علي و معاوية غير جائز في المفاضلة بين الحسين و يزيد.. وإنما الموقف الحاسم بينهما، موقف الأريحية الصراح في مواجهة المنفعة الصراح. و قد بلغ كلامهما من موقفه أقصى طرفيه و أبعد غايته، فانتصر الحسين بأشرف ما في النفس الإنسانية من غيره أبوالشهداء [صفحة ١٨] على الحق و كراهة للنفاق و المداراة، و انتصر يزيد بأرذل ما في النفس الإنسانية من جشع و مراء و خنوع لصغار المتع و الأهواء. أقام الحسين ليلته الأخيرة بكل بلاء و هو لا يتضرر من عاقبته غير الموت العاجل بعد سويعات، فأذن لأصحابه أن يتفرقوا عنه تحت الليل ان كانوا يستحيون أن يفارقوه في ضوء النهار. فأبوا إلا أن يموتونه، و قال له مسلم بن عيسى عليهما السلام: «أنحن نتخلى عنك و لم نذر إلى الله في أداء حقك؟... أما و الله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحى و أضر بهم بسيفي ما بقى قائمه بيدي، و لو لم يكن معى سلاحى لقتفهم بالحجارة دونك حتى أموت معك». و قد بر بقسمه و بقى و مات.. و دنا منه حبيب بن مظاهر و هو يوجد بنفسه، فقال له: «لو لا انى أعلم انى فى أثرك لا حق بك لأحييتك حتى أحفظك بما أنت له أهل»، فقال و كان آخر ما قال: «أوصيك بهذا - رحمك الله - أن تموت دونه» و أومأ بيده نحو الحسين. و قتل الحسين.. و ذهب الأمل في دولته و دولة الطالبيين من بعده إلى أجل بعيد، و لكنه كان يشتم بالكلمة العوراء فيهون على الرجل من أصحاب الأريحية أن يموت و لا يصر على سماع تلك الكلمة أو يترك الجواب عليها..]

صفحة ١٩] فلما نعى الحسين في الكوفة نادى و إليها ابن زياد إلى الصلاة الجامعية. و صعد إلى المنبر، و خطب القوم فقال: «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، و نصر أمير المؤمنين يزيد بن معاویة و حزبه، و قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على و شيعته» فما أتمها حتى و ثب له من جانب المسجد شيخ ضرير هو عبد الله بن عفيف الأزدي الذي ذهبت أحدى عينيه يوم الجمل و ذهبت عينه الأخرى يوم صفين. فصاح بالوالى غداة يوم انتصاره و زهوه: «يا ابن مرjanة!.. أقتل أبناء النبيين و تقوم على المنبر مقام الصديقين؟ إنما الكذاب أنت و أبوك و الذي لا ك و أبوه». فما طلع عليه الصباح الا و هو مصلوب.. إلى هذا الأفق الأعلى من الأريحية و النخوة ارتفعت بالنفس الإنسانية نصرة الحسين. و إلى الأغوار المرذولة من الخسئة و الأثرة هبطت بالنفس الإنسانية نصرة يزيد.. و حسبك من خسئة ناصريه، أنهم كانوا يحزون بالحطام و هتك الأعراض على غزو «المدينة» النبوية و استباحة ذمارها فيسرعون إلى الجزء.. يسرعون إليه و ليسوا هم بكافرين بالنبي الدفين في تلك المدينة، فيكون لهم عذر الاقدام على أمر لا- يعتقدون فيه التحرير!.. بل حسبك من خسئة ناصريه انهم كانوا يرعدون من مواجهة الحسين [صفحة ٢٠] بالضرب في كربلاء لاعتقادهم بكرامته و حقه، ثم يتزرعون لباسه و لباس نسائه فيما انتزعوه من أسلاب!.. و لو أنهم كانوا يكفرون بدينه و برسالته جده، لكنوا في شرعة المروءة أقل خسئة من ذاك. و تقابل وسائل النجاح في المزاجين كما تقابل المقاصد و الغaiات.. فكان شعار معاویة و أشياعه: «إن الله جنودا من العسل» و هو يعني العسل الذي يداف بالسم ليخلّى طريق النجاح من كل معرض فيها و لو كان من الاصدقاء. فكثرت روايات المؤرخين عن مقتل الحسن بن على و الأشتر النخعي بهؤلاء الجنود!.. و أعجب منها ما قيل عن مقتل عبدالرحمن بن خالد، و قد كان نصيراً لمعاویة في حروب الشام.. فإنه مات مسموما على ما اشتهر من الروايات، لأنه رشح للخلافة بعد معاویة دون يزيدا.. و علم ذلك أقرباء عبدالرحمن بن خالد، فقتلوا طيب معاویة «بن أثال» الذي اتهموه باسمه في الدواء. و لو استباح الحسين و شيعته هذه الوسائل مرة واحدة، لكنوا و شيكين أن يبلغوا مقصدتهم من قريب. فقد كان هانئ بن عروة شيخ كندة من أنصار الحسين و أبيه، و كانت كندة كلها تطيعه و تلبيه حتى قيل أنه «إذا صرخ لباه منهم ألف سيف». فزاره عبيد الله بن زياد و إلى يزيد على الكوفة - ليعوده في بعض مرضه و يتأنله و يستميله إليه. [صفحة ٢١] و قيل ان هانئا عرض عل مسلم بن عقيل أن يقتل عبيد الله ابن زياد و هو عنده، و قيل ان الذي عرض ذلك رجل من صحابة هانئ المقربين. فأبى مسلم ما عرضه هذا و ذاك، و هو يومئذ طلبة ذلك الوالي، و جنوده قد تعقبوه و أهدروا دمه و أجزلوا الوعود لمن يسلمه أو يدل عليه، و قال: «انا أهل بيت نكره الغدر». و لو أنه بطش بابن زياد، لقد بطش يومئذ بأكبر أنصار يزيد.. و ليقل من شاء أن قتل ابن زياد كان صوابا راجحا.. و أن التحرج من قتله كان خطأ فادحا من وجهة السياسة أو من وجهة الأخلاق، فالذى لا يشك فيه أنه ان كان صوابا فهو صواب سهل يستطيعه كثيرون، و ان كان خطأ فهو الخطأ الصعب الذي لا يستطيعه الا القليلون.. كذلك يقول من يقول ان الأريحية التي سمت إليها طبائع أنصار الحسين، إنما هي الأريحية اليمان الذي يعتقد صاحبه أنه يموت في نصرة الحسين فيذهب ل ساعته إلى جنات النعيم.. فهؤلاء الذين يقولون هذا القول يجعلون المنفعة وحدها باعث الإنسان إلى جميع أعماله، حتى ما صدر منها عن عقيدة و إيمان. و ينسون ان المنفعة وحدها لن تفسر لنا حتى الغرائز الحيوانية التي يصاب من جرائها الفرد طوعا أو كرها في [صفحة ٢٢] خدمة نوعه، بل ينسون أن أنصار يزيد لا يكرهون جنات النعيم و لا يكفرون بها، فلماذا لم يطلبواها كما طلبها أنصار الحسين؟.. إنهم لم يطلبوا لأنهم منقادون لغواية أخرى و لأنهم لا يملكون عزيمة الإيمان و نخوة العقيدة، و لا- تلك القوة الخلقية التي يتغلبون بها على رهبة الموت و يقدعون بها و ساوس التعلق بالعيش و الخنوع للمتعة القربيه. فلو لا اختلاف الطبائع لظهر شغف الناس جميعا بجنات النعيم على نحو واحد، و مضى الناس على سنة واحدة في الأريحية و الفداء، و مرجع الأمر اذن في آخر المطالب إلى فرق واضح بين طبائع الأريحيين و طبائع النفعيين. و كذلك يقول من يقول ان الأريحية في نفوس أنصار الحسين كانت الأريحية أفراد معدودين ثبتو معه و لم يدخلوه إلى يومه الأخير.. و ينسى هؤلاء ان الارتفاع ليقاس بالقمة الواحدة كما يقاس بالقمم الكثيرة، و أن الغور ليسير في مكان واحد كما يسبر في كل مكان، و إنما تكون الندرة هنا أدل على جلاله المرتقى الذي تطيقه النفس الواحدة أو الانفس المعدودات، و لا تطيقه نفوس الاكثرين.. فمدار الخلاف

اذن في هذه الجولة التاريخية انما هو الفارق الخالد بين مزاجين بارزين كائنا ما كان تفسير المفسرين للعقائد الروحية والمطامع السياسية، ولم يتلاقى هذان المزاجان على تناحر و تناجز كما [صفحه ٢٣] تلاقيا عاملا في التزاع بين الطالبيين والأمويين، وخاصة في النزاع بين الحسين و يزيد. فحياء الحسين رضي الله عنه صفحة، لا صفحة تماثلها في توضيح الفارق بين خصائص هذين المزاجين و بيان ما لكل منهما من عدة للنجاح في كفاح الحياة، سواء نظرنا الى الأمد البعيد أو قصرنا النظر على الأمد القريب. [صفحه ٢٥]

أسباب التنافس والخصومة

اشارة

قبل أن يقف الحسين و يزيد متناجzin، كانت الحوادث قد جمعت لهما أسباب التنافس والخصومة منذ أجيال، و كان هذا التنافس بينهما يرجع إلى كل سبب يوجب النفرة بين رجلين: من العصبية، إلى التراث الموروثة، إلى السياسة، إلى العاطفة الشخصية، إلى اختلاف الخليفة و النشأة و التفكير.. تنافس هاشم وأمية على الزعامة قبل أن يولد معاوية.. فخرج أمية ناقما إلى الشام و بقى هاشم منفرداً بزعامة بنى عبد مناف في مكة. فكان هذا أول انقسام و تقسيم بين الأمويين والهاشميين: هؤلاء يعتضدون بالشام، و هؤلاء يعتضدون بالحجاز.. ثم علا نجم «أبي سفيان بن حرب بن أمية» في الحجاز، فأصبحت له زعامة مرموقة إلى جانب زعامة الهاشمية. فلما ظهرت الدعوة المحمدية أخذته الغيرة على زعامتها، فكان في طليعة المحاربين للدعوة الجديدة. و ندرت غزوته من الغزوات لم تكن لأبي سفيان أصبح ظاهرة في تأليب القبائل و جمع الأموال. و شاءت المصادرات زمناً من الأزمان أن [صفحه ٢٦] يظل وحده على زعامة قريش في حربها للنبي عليه الصلاة و السلام. فمات الوليد بن المغيرة زعيم مخزوم، و دان زعماء تيم و بنى عدن و غيرهم من البطون القرشية الصغيرة بالاسلام، و بقى أبوسفياN وحده على رأس زعامة الجahiliyah و زعامة الأموية في منازلة النبي و من معه من المهاجرين و الأنصار، و بلغ من تغلغل العداء في هذه الأسرة للنبي عليه الصلاة و السلام، أن أباالله عمّه كان أوحد أعمامه في الكيد له و التأليب عليه، و إنما جاءه هذا من بنائه بأم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان التي وصفها القرآن بأنها «حملة الخطب» كنایة عن السعي في الشر و تأثير نار البغض.. ثم فتحت مكة، فوقف أبوسفياN ينظر إلى جيش المسلمين و يقول للعباس بن عبدالمطلب: «و الله يا أباالفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما». فلما قال العباس: «إنها النبوة!». قال: «نعم اذن!.. و قد أسلم أبوسفياN و ابنه معاوية عند فتح مكة، و كان اسلام بيته أسر اسلام عرف بعد فتحها. فكانت زوجة هند بنت عتبة تصيّح في القوم بعد اسلامه: «اقتلوه الخبيث الدنس الذي لا خير فيه.. قبح من طليعة قوم.. هلا قاتلتم و دفعتم عن أنفسكم و بلادكم!.. و ظل أبوسفياN إلى ما بعد اسلامه زمناً يحسب غلبة الاسلام غلبة عليه، فنظر إلى النبي مرتين و هو بالمسجد نظرة الحائر المتعجب و هو [صفحه ٢٧] يقول لنفسه: «ليت شعرى بأبي شيء غلبني!» فلم يخف عن النبي عليه السلام معنى هذه النظرة، و أقبل عليه حتى ضرب يده بين كتفيه و قال له: «بالله، غلبتك يا أباسفياN!.. و كان في غزوة حنين يشهد هزيمة المسلمين الأولى فيقول: «ما أراهم يقفون دون البحر!» و قيل انه كان في حروب الشام يهتف كلما تقدم الروم: «ايه بنى الأصفر» فإذا تراجعوا عاد فقال: «وويل لبني الأصفر!.. و قد تألفه النبي عليه السلام ما استطاع قبل فتح مكة و بعد فتحها، فتروج بنته أم حبيبة قبل الفتح و جعل بيته بعد الفتح حرماً «من دخله فهو آمن و من أغلق عليه داره فهو آمن» و أقامه على رأس المؤلفة قلوبهم الذين يزاد لهم في العطاء عسى أن يذهب ما في نفوسهم من الكراهة لغلبة الاسلام.. و مع هذا كان المسلمين يوجسون منه فلا ينظرون إليه و لا يقاعدونه، حتى برم بذلك و أحب أن يمسح ما بصدره هم من قبله.. فتوسل إلى النبي أن يجعل معاوية كتاباً بين يديه و أن يأمره فيقاتل الكفار كما كان يقاتل المسلمين. ثم قبض النبي عليه السلام، و نجم الخلاف على مبايعة الخليفة بعده بين المهاجرين و الأنصار و بين بعض الصحابة من جهة أخرى.. فاشرأب [صفحه ٢٨] أبوسفياN إلى هذه الفتنة، و خيل إليه أنه مصيب بين فتوتها ثغرة ينفذ منها إلى السيادة على قريش، ثم السيادة من هذا الطريق على الأمة الاسلامية بأسرها..

فدخل على «علي» و العباس، يشيرهما و يعرض عليهما المعونة بما في وسعه من خيل و رجل. فنادى بهما: «يا علي! و أنت يا عباس!.. ما بال هذا الأمر في أذل قبيلة من قريش و أقلها؟ و الله لو شئت لأملأنها عليه - على أبي بكر - خيلاً و رجالاً و آخذنها عليه من أقطارها».. و هو لا ريب لم يغضب لأن الخلافة قد فاتت بنى هاشم، و لا كان سره أن تصير الخلافة اليهم فتسقر فيهم قراراً لا طاقة له بتحويله.. لكنه أراد خلافاً يفتح الباب لزعامة أموية يملك بها زمام قريش و الدولة لعربية جماعه.. فلم يخف مقصد هذه على «علي» رضي الله عنه، و قال: «لا.. و الله لا.. أريد أن تملأها عليه خيلاً و رجالاً، و لو لا أننا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ماخليناه و اياها». ثم أنبه قائلاً: «يا أبا سفيان!.. إن المؤمنين قوم نصحة بعضهم لبعض، و إن المنافقين قوم غشة بعضهم لبعض. متخاونون و ان قربت ديارهم و أبدائهم». و انقضت خلافة أبي بكر و خلافة عمر و الأمور تجري في مجريها الذي يأخذ على المطامع سبيلها، و يخيف أصحاب الفتنة أن يبرزوا بها من جحورها.. [صفحة ٢٩] حتى قامت خلافة عثمان بن عفان فانتصر بها الأمويون أيماناً انتصاراً، لأنه رأس من رؤوسهم و ابن عم قريب لزعماء بيوتهم، و أصبحت الدولة الإسلامية أموية لا يطمع في خيراتها و لا وليتها إلا من كان من أمية أو من حزبها. فمروان بن الحكم وزير الخليفة الأكبر يغدق العطاء على الأقرباء و يحبسها عن سائر الناس، و معاوية بن أبي سفيان و إلى الشام يجذب إليه الأقرباء والأولياء و من يرجى منهم العون و يخشى منهم الخلاف. فلما قتل عثمان رضي الله عنه كان المنتفعون بمناصب الدولة و أموالها جميعاً من الأمويين أو من صنائعهم المقربين، و مال السلطان إلى جانب أمية على كل جانب آخر من القرشيين و غير القرشيين لا جرم كان الصراع بعد ذلك صراعاً معروفاً النهاية من مطلع البداية، فقتل على بن أبي طالب غيلة و خلقت الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان.. ثم بايع من أهل العراق و فارس الحسن بن علي، فلم يستقم له أمرهم و ضاق صدره بجدالهم و محالهم، و كان رجلاً سكيناً يكره المنازعه و يجئ إلى العزلة، فصالح معاوية على شروطه.. و في له معاوية بالمعجل منها و التوى عليها بموجلها. و زاد على ذلك كما تواتر في شتى الروايات أنه أغوى امرأته جعدة بنت الأشعث باسمه، و وعدها أن يزوجها [صفحة ٣٠] يزيد و يعطيها مائة ألف درهم، فوفى بوعده المال و لم يف بوعده الزواج. وقد أوصى الحسن رضي الله عنه أن يدفن عند قبر جده إلا أن تخاف فتنته. فلما توفي أرادوا دفنه حيث أرضى، فقام مرwan بن الحكم و جمع بنى أمية و زمرتهم و منعوا مشيعيه.. فأنكر الحسين عليهم منع سبط النبي أن يدفن إلى جوار جده، فقيل له: «إن أخاك قال إذا خفتم الفتنة ففى مقابر المسلمين سعةً. و هذه فتنة».. فسكت على مضض.

أهداف معاوية

و قد كان معاوية و لا ريب ينوى أن يجعلها دولة أموية متعاقبة في ذريته من بعده، منذ تصدى للخلافة و خلاله المجال من أقوى منافسيه، إلا أنه كان يتrepid و يتكتم و لا يفضي بناته إلى أقرب المقربين إليه، ثم كبرت سنها و خاف أن يعدل عن قصده، فمهد لبيعة ابنه يزيد بعض التمهيد و توصل إلى ذلك بما طاب له من وسيلة.. فلما أهله الشام و كتب بيعته إلى الآفاق، ثم همه أمر الحجاز فكتب إلى مرwan بن الحكم عامله أن يجمع من قبله لأخذ البيعة منهم ليزيد، فأبى مرwan و أغوى رؤوس قريش بالآباء، لأنه كان يتطلع إلى الخلافة بعد معاوية و يحسبه أقدر عليها من يزيد، لما اشتهر به من نقص و عبث.. فعزله معاوية و ولـى سعيد ابن العاص مكانه، فلم يجده أحد إلى ما أراد. فكتب معاوية إلى عبدالله ابن عباس، و عبدالله بن الزبير، و عبدالله بن جعفر، و الحسين بن علي، [صفحة ٣١] و أمر عامله سعيداً أن يصل كتبه إليهم و يبعث إليهم بجواباتها. و قال لسعيد: «فهمت ما ذكرت من ابطاء الناس، و قد كتبت إلى رؤسائهم كتاباً فسلّمها إليهم.. و لتشد عزيمتك و تحسن نيتك، و عليك بالرفق. و انظر حسيناً خاصةً فلا يناله منك مكروه، فإن له قرابةً و حقاً عظيماً لا ينكره مسلم و لا مسلمة.. و هو ليث عرين، و لست آمنك أن ساورته ألا تقوى عليه». فأعيا سعيد بن العاص كل حيلة في اقناع و جهاء الناس و عامتهم بهذه البيعة البغيضة، و خف معاوية إلى مكانه و معه الجناد و حقائب الأموال، و دعا بأولئك النفر فقال لهم: «قد علمتم سيرتي فيكم و صلتني لأرحمكم، يزيد أخوك و ابن عمك، و أردت أن تقدموا يزيد باسم الخلافة و تكونوا أنتم تعزلون و تؤمرون و تجبون المال و تقسمونه». فأجاب عبدالله بن الزبير، و خيره بين أن يصنع كما صنع رسول الله أذ لم يستخلف أحداً، أو كما

صنع أبوبيكر، اذ عهد الى رجل ليس من بنى أبيه. فقال معاوية مغضباً: «هل عندك غير هذا؟» قال: «لا». و التفت الى الآخرين يسألهم قائلاً: «فأنتم؟» فوافقوا ابن الزبير. [صفحه ٣٢] فقال متوعداً: «أعذر من أذر.. انى كنت أخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤوس فأحمل ذلك وأصفح، و انى قائم بمقالة... فأقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة في مقامى هذا، لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه، فلا يبدين رجل الا على نفسه». ثم أمر صاحب حرسه أن يقيم على رأس كل منهم رجلين مع كل واحد منهما سيف، و قال له: «ان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب، فليضر راه بسيفهما». ثم خرج بهم الى المسجد و رقى المنبر، فحمد الله و أثنى عليه و قال: - هؤلاء الرهط سادة المسلمين و خيارهم، لا يبرم أمر دونهم و لا يقضى الا على مشورتهم، و انهم قد رضوا و بايعوا ليزيد فباعوه على اسم الله. فإياع الناس... و هكذا كانت البيعة ليزيد في الحجاز... و مات معاوية و هو يعلم أن بيعة كهذه لا تجوز و لا تؤمن عقباها... فأوصى ابنه «انه لا يخاف الا هؤلاء من قريش: الحسين بن علي، و عبدالله بن زبير». قال: «فاما عبدالله بن عمر فرجل قد وقده العادة و اذا لم يبق أحد غيره بايعك. و أما الحسين [صفحه ٣٣] ابن علي فلا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه.. فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فان له رحمة ماسة و حقا عظيم». أما ابن الزبير فانه خب ضب، فإذا أمهكته فرصة و ثب.. فان هو فعلها فقدرت عليه، فقطعه اربا اربا الا أن يتلمس منك صلحاً، فان فعل فا قبل و احقن دماء قومك ما استطعت»...

خلافة يزيد

و آل الأمر على هذا النحو الى يزيد في سنة ستين للهجرة، و هو بين الرابعة والثلاثين و الخامسة والثلاثين، و لكنه دون أنداده في تجارب الأيام، و ليس حوله من المشيرين و النصحاء أمثال المغيرة، و زياد، و عمرو بن العاص، و غيرهم من القروم الذين كانوا حول أبيه... فتهيب ما هو مقدم عليه، و كتب الى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: «أن خذ حسينا، و عبدالله بن عمر، و عبدالله بن زبير، باليبيعة أخذنا شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا و السلام». بعث الوليد الى مروان بن الحكم يستشيره... و كان مروان يزيد الخلافة لنفسه، و لكنه علم بعد موت معاوية و قيام يزيد ان الامر اليوم أمر بنى أمية، فان خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين. فنصح للوليد نصيحة ذات وجهين: ظاهرها الشدة في الدعوة ليزيد و باطنها السعي الى الخلاص من يزيد و منافسيه. فقال: «أرى أن تبعث الساعة الى هؤلاء النفر فندعوا لهم الى البيعة. أما ابن عمر فلا أراه يرى القتال، و لكن (الحسين أبوالشهداء - ٣) [صفحه ٣٤] عليك بالحسين و عبدالله بن زبير، فان بايعا و لا فاضرب أعناقهما...» و ضرب عنق الحسين و ابن زبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد... ثم الخلاص من يزيد نفسه باثارة النفوس و ايغار الصدور عليه! او قد ذهب رسول الوليد الى الحسين و ابن زبير، فوجدهما في المسجد... فعلم الحسين ما يراد منه، و جمع طائفه من مواليه يحملون السلاح، و قال لهم و هو يدخل بيت الوليد «ان دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتحموا على بأجمعكم، و الا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم»... فلما عرضوا عليه البيعة ليزيد قال: «اما البيعة فان مثل لا يعطي بيته سرا، و لا أراك تقن بها مني سرا». قال الوليد: «أجل!» قال الحسين: «فإذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحداً». ثم انصرف و مروان عاشر صامت لا يتكلم... و ما هو الا أن تواري الحسين حتى صاح بالوليد: «عصيتك و الله! لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم و بيته». فأنكر الوليد لجاجته و قال له: «أشير على بقتل الحسين! و الله ان [صفحه ٣٥] الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيمة لخفيف الميزان عند الله». و هكذا انتهت المنافسة بين بنى أمية و بنى هاشم الى مفترق طريق لا سبيل فيه الى توفيق، و لم تقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ أجيال و ان غلبها الاسلام في عهد النبوة، و في عهد الصديق و الفاروق. و كفى بالاسلام فضلاً في هذا المجال أنه غالب العصبية بالعقيدة، فجعلها تابعة لها غير قادر الجهر بمخالفتها! و لكن العصبية المكبوحة عصبية موجودة غير معروفة.. و كثيراً ما يفلت المكبوح من عنانه، و ان طالت به الرياضة و الانقياد.. فاتفق كثيراً في مساجلات شتى بين كبار الصحابة، أن بدرت الى اللسان بوادر العصبية و النبي عليه السلام حاضر، فلما أشار عمر بقتل أبي سفيان -

على خلاف رأى العباس في استبقاءه وتألفه - قال العباس: «مهلًا يا عمر! فو الله لو كان من رجالبني عدى بن كعب ما قلت مثل هذا.. ولتكن قد عرفت أنه من رجال عبدمناف». ولما توثب أسيد بن حضير لضرب عنق المفترين على السيد عائشة، ثار به سعد بن عبادة و صاح به: «كذبت لعمر الله! ما تضرب عناقهم». [صفحة ٣٦] أما والله ما قلت هذه المقالة إلا إنك قد عرفت أنهم من الخخرج، ولو كانوا من قومك - الأوس - ما قلت هذا..» وقد مات الفاروق وهو يوصي علياً فيقول: «اتق الله يا علي ان و ليت شيئاً فلا تحملن بنى هاشم على رقاب المسلمين».. ثم يلتفت إلى عثمان فيقول له: «اتق الله ان و ليت شيئاً فلا تحملن بنى أمينة على رقاب المسلمين».. و من عجائب الحيل التي تحاول بها الغرائز الإنسانية أن تبقى وجودها و تمضي لطيتها، أن بنى أمينة انتفعوا من حرب الإسلام للعصبية في تعزيز عصبيتهم، فجعلوها حجة على بنى هاشم أن النبوة لا تحصر الأمر فيهم وأن الأنبياء لا يوروثون.. و اذا نهضت هذه الحجة على بنى هاشم، فبنوأميمة أقوى المتنفعين بها من بطون عبدمناف او قد أوجبت الضرورة قبول المجاملة في هذه المنافسات فترة من الزمن على عهد معاوية بن أبي سفيان، فكان يلطف القول إلى أبناء على و يواليهم بالهدايا و المجاملات، و لكنه كان مضطراً إلى مجاملة آل على و مضطراً إلى تنقص على و الغض من دعواه. فكان بذلك مضطراً إلى التقاضيين في آن. انه ملك و بايع بالملك لزيد و هو يعلم أنه غالب بالسلاح و المال، مغلوب بالسمعة و الشعور. فكان الناس يفضلون علياً عليه و هو لا يملك [صفحة ٣٧] أن يفاضله بقرابة النبي، و لا- بالسابقة إلى الإسلام، و لا بالعراقية في قريش. فتجنب النسب و السابقة، و عمد إلى شخص على في منازعات الخلافة، فاتهمه بتفرقة الكلمة بين المسلمين، و أمر بلعنه على المنابر عسى أن يضعف من تلك المكانة التي هو مغلوب بها و يستبقى الدولة التي هو بها غالب.. و لج في ذلك حتى قتل أناساً لم يطعوه في لعن على واتهامه، و أبي أن يجib الحسن بن على إلى شرطه الذي أراد به أن يرفع اللعن عن أبيه... و كان معاوية على ح الصافه يجهل أنه قد أضاع سمعة و شعوراً من حيث حارب علياً في مقام السمعة و الشعور.. و ان مجاملة كهذه التي تحىي الرجل و تغضض من قدر أبيه لهي أضعف مجاملة بين متلاقيين، فضلاً عن خصميين متنافسين قد آل بهما التنافس بعد أجيال إلى مفترق الطريق.

زواج الحسين

و كأنما كانت هذه المنافسة المؤصلة الجذور لا تكفى قصاصات التاريخ، فأضاف إليها أنس من ثقاتهم قصة منافسة أخرى هي وحدتها كافية للنفرة بين قلبين متألفين. و هي قصة زواج الحسين رضي الله عنه بزینب بنت اسحق التي كان يهواها يزيد هوى أدنه و أعياه. و كانت زینب هذه على ما قيل أشهر فتيات زمانها بالجمال، و كانت زوجة لعبدالله بن سلام القرشي و الى العراق من قبل معاوية. فمرض يزيد بحبها و أخفى سره عن أهله، حتى استخرجه منه بعض [صفحة ٣٨] خصيان القصر الذين يعينونه على شهواته.. فلما علم أبوه سر مرضه أرسل في طلب عبدالله بن سلام و استدعى إليه أبا هريرة و أبا الدرداء، فقال لهم ان له ابنة يريد زواجهها و لم يرض لها خليلاً غير ابن سلام، لدینه و فضله و شرفه و رغبة معاوية في تكريمه و تكريمه. فخدع ابن سلام بما بلغه و فاتح معاوية في خطبة ابنته، فوكل معاوية الأمر إلى أبي هريرة ليبلغها و يستمع جوابها. فكان جوابها المتفق عليه بينهما و بين أبيها أنها لا تكره ما اختاروه، ولكنها تخشى الضر و تشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله. فطلق ابن سلام زوجته و استنجز معاوية و عده.. فإذا هو يلويه به و يقول بلسان ابنته انها توجس من رجل يطلق زوجته و هي ابنة عمها و أجمل نساء عصره.. و قيل ان الحسين سمع بهذه المكيدة، فسأل أبوهيره أن يذكره عند زینب خاطباً.. فصدع أبوهيره بأمره و قال لزینب: «إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبدالله بن سلام». قالت: «من؟» قال: «يزيد بن معاوية و الحسين بن علي، و هما معروfan لديك بـأحسن ما تبتعينه في الرجال». و استشارته في اختيار أيهما، فقال: «لا اختار فم أحد على فم قبله رسول الله، تضعين شفتيك في موضع شفتيه». فقالت: «لا اختار على الحسين بن علي أحداً و هو ريحانة النبي و سيد شباب أهل الجنة». [صفحة ٣٩] فقال معاوية متغياً: «نعمى أم خالد رب ساع لقاعدوا لم يلبت الحسين أن ردها إلى زوجها قائلًا: «ما أدخلتها في بيتي و تحت نكاحي رغبة في مالها و لا جمالها، و لكن أردت احلالها لبعلاها». فان صحت هذه القصة و هي متواترة في تواريخت الثقات،

فقد تم بها ما نقص من النفرة والخصومة بين الرجلين، و كان قيام يزيد على الخلافة يوم فصل في هذه الخصومة، لا يقبل الارجاء، و كان بينها كما أسلفنا مفترق طريق [صفحة ٤١]

الخصمان

موازنة

لخص المقريزى المنافسة التى بين الهاشمين والأمويين فى بيتين فقال: عبد شمس قد أضرمت لبني ها شم حرباً يشيب منها الوليد فى حرب للمصطفى، و ابن هند لعلى، و للحسين يزيد و سنظر فى خاتم هذا الفصل عرضاً موجزاً لهذه المقابلة المتسلسلة بين أفراد الأسرتين لتحقيق الرأى فيها، و لكننا نجترب هنا بالقابلة بين الخصميين التصاولين من هاشم و عبد شمس فى شخصى الحسين و يزيد... فأيا كان الميزان الذى يوزن به كل من الرجلين فلا مراء البته فى خير الرجلين... و ما من رجل فاز حيث ينبغي أن يخيب، كما قد فاز يزيد بن معاوية فى حربه للحسين، و ما اختصم رجالان كان أحدهما أوضح حقاً [صفحة ٤٢] و أظهر فضلاً من الحسين فى خصومته ليزيد بن معاوية و موازنته بين هذين الخصميين هى فى بعض وجهها موازنة بين الهاشمين والأمويين من بداية الخلاف بين الأسرتين، و هي موازنة حفظت كفتياً على وضعهما زهاء سبعة قرون، فلم يظهر فى هذه القرون أموى قبح، الا ظهرت فيه الخصال الأموية المعهودة فى القبيلة بأسرها، و لم يظهر فى خلالها هاشمى قبح، الا رأيت فيه ملامح من تلك الخصال التى بلغت مثلها الأعلى فى محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام و الهاشميون و الأمويون من أرومء واحده ترتفع إلى عبد مناف، ثم إلى قريش فى أصلها الأصيل.. و لكن الأسرتين تختلفان فى الأخلاق و الأمزجة و ان اتحدت فى الأرومء... فبنوهاشم فى الأغلب الأعم مثاليون أريحيون و لا سيما أبناء فاطمة الزهراء و بنو أمية فى الأغلب الأعم عمليون نفعيون، و لا سيما الاصلاء منهم فى عبد شمس من الآباء و الأمهات. و تفسير هذا الاختلاف مع اتحاد الأرومء غير عسير.. فان الأخوين فى البيت الواحد قد يختلفان فى الأخلاق و الأعمال، كما يختلف الغريبان من أميين بعيدتين، تبعاً لاختلاف سلسلة الميراث فى الاصول و الفروع، على ذلك النحو الذى ياذن أحياناً باختلاف الألوان و الملامح فى نسل واحد، تأخذ كل شعبة منه بناحية من نواحي الوراثة. [صفحة ٤٣] و من الثابت الذى لا نزاع فيه أن عبد المطلب و أمية كانوا يختلفان حتى فى الصورة و القامة و الملامح.. و فى نسل أمية شبهة نشير إليها و لا نزيد، فهى محل الاشارة و المراجعة فى هذا المقام... دخل دغفل النسابة على معاوية فقال له: «من رأيت من عليه قريش؟». فقال: «رأيت عبد المطلب بن هاشم و أمية بن عبد شمس». فقال: «صفهما لى». فقال: «كان عبد المطلب أىضى، مديد القامة، حسن الوجه، فى جبينه نور النبوة و عز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب». قال: «فصفت أمية» قال: «رأيته شيخاً قصيراً، نحيف الجسم ضريراً، يقوده عبد ذكوان» فقال معاوية: «مه!... ذاك ابنه أبو عمرو». فقال دغفل: «ذلك شيء قلتموه بعد و أحدثتموه... و أما الذى عرفت فهو الذى أخبرتك به». و ذكر الهيثم بن عدى فى كتاب المثالب أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقة، و نقل أبو الفرج الأصبهانى - و هو من الأمويين - ما تقدم فلم يعرض له بتفييد... و وضح الفرق بين بنى هاشم و بنى أمية فى الخلاقين و المناقب فى الجاهلية قبل الإسلام. فكان الهاشميون سراعاً إلى النجدة و نصرة الحق و التعاون عليه... و لم يكن بنو أمية كذلك.. فتختلفوا عن حلف الفضول الذى نهض به بنوهاشم و حلفاؤهم، و هو الحلف الذى اتفق فيه نخبة من [صفحة ٤٤] رؤساء قريش «ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه» و ليأخذن أنفسهم بالتأسى فى المعاش و التساهم فى المال، و ليمنعن القوى من ظلم الضعيف و القاطن من عنف الغريب» و اتفقوا على هذا الحلف لأن العاص ابن وائل اشتري بضاعة من رجل زيدى و لواه بثمنها، فنصرروا الرجل الغريب على القرشى و أعطوه حقه... و لما تنافر عبد المطلب و حرب بن أمية إلى نفيل بن عدى، قضى عبد المطلب و قال لحرب: أبوك معاهر و أبوه عف و ذاد الفيل عن بلد حرام يشير إلى فيل أبرهة الذى أغارت به على مكة. و قال عن أمية انه «معاهر» لأنه كان يتعرض للنساء، و قد ضرب بالسيف مرة لأنه

تعرض لامرأة من بنى زهرة. و كان له تصرف عجيب في علاقات الزواج و البنوة، فاستلحق عبده ذكوان و زوجه امرأته في حياته، ولم يعرف سيد من سادات الجاهليه قط صنع هذا الصنيع.

اختلاف النساء

وندع اختلاف الطياع و مغامز النسب ثم نظر في اختلاف النساء و العادة - مع اختلاف الخلق الجنسي - فنرى أنها صالحتان لتفصيل الفارق بين أبناء هاشم و أبناء عبد شمس بعد جيلين أو ثلاثة أجيال... فقد كان بنوهاش يعلمون في الرئاسة الدينية، و بنو عبد شمس [صفحة ٤٥] يعلمون في التجارة أو الرئاسة السياسية... و بما ما هما في الجاهليه من الربا و المماكسه و الغبن و التطفيف و التزييف، فلا عجب أن يختلفا هذا الاختلاف بين أخلاق الصراحت و أخلاق المساومة، و بين وسائل الایمان و وسائل الحيلة على النجاح. و يتافق كثيرا في الكهانات الوثنية أن يتصرف رؤساء الأديان بصفات الرباء و الدهاء و العبث بأحلام الأغرار و الجهلاء، و لكنهم يتصرفون بهذه الصفة حين يعلمون الكذب فيما يمارسون من شعائر الكهانة، و مظاهر العبادة، و يتخدونها صناعة يرجونها لمنفعتهم أو لما يقدرون فيها من منفعة أولئك الأغرار و الجهلاء.. أما أبناء هاشم فلم يكونوا من طراز أولئك الكهان المشعوذين، و لا كانوا من المحتالين بالكهانة على خداع أنفسهم و خداع المؤمنين و المصدقين بل كانوا يؤمدون بالبيت و رب البيت، و بلغ من أيمانهم بدينهم أن عبد المطلب - جد النبي عليه السلام - أو شك أن يذبح ابنه فدية لرب البيت لأنه نذر (لئن عاش له عشرة بنين ليحرن أحدهم عند الكعبة)، و لم يتحلل من نذرها حتى استوثق من كلام العرافه بعد رمي القداح ثلاث مرات. و الأخلاق المثاليه توائم الرئاسة الدينية التي يدين أصحابها بما يدعون اليه.. فان لم تكن في بنوهاش موروثة من معدن أصيل في الأسرة، [صفحة ٤٦] فهي أشبه باسم الرئاسة الدينية و العقيدة المتمكنه و الشعائر المتبعه جيلا بعد جيل، و هي أخلق أن تزداد في الأسرة تمكنا بعد ظهور النبوة فيها، و أن يتلقاها بالوراثة و القدوة أسباط النبي و أقرب الناس اليه.. و أنك لنتحدر مع أعقاب الذريه في الطالبين - أبناء على و الزهراء - مائة سنة و أربعهائة سنة، ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل اليك أن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع و أصله في الخصال و العادات... كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين، و لا تثبت أن تهتف عجا: ان هذه لصفات علوية لا شك فيها، لأنك تسمع الرجل منهم يتكلم و يجيب من يكلمه، و تراه يعمل و يجزى من عمل له، فلا تخطيء في كلامه و لا في عمله تلك الشجاعة و الصراحت، و لا ذلك الذكاء و البلاغ المسكك، و لا تلك اللوازم التي اشتهر بها على و آله و تجمعها في كلمتين اثنتين تدلان عليها أو في دلالة، و بما: «الفرروسية و الرياضة»... طبع صريح، و لسان فصيح، و متانة في الأسر يُستوى فيها الخلق و الخلقي. و نخوة لا- تبالي ما يفوتها من النفع اذا هي استقامت على سنة المروءة و الاباء.. فمن يحيى بن عمر، الى على بن ابي طالب، خمسة أو ستة أجيال... و لكن يحيى بن عمر يوصف لك، فإذا هو صورة مصغره من صور على بن ابي طالب على نحو من الانحاء، فمن أصحابه التي و صفة بها [صفحة ٤٧] الكاتب الاموي أبوالفرج الأصبهاني انه كان «رجلًا فارسًا، شجاعًا، شديدًا، مجتمع القلب بعيداً عن رهق الشباب و ما يعاب به مثله». و مما روی عنه «انه كان مقيناً ببغداد، و كان له عمود حديد ثقيل يكون معه في منزله، و ربما سخط على العبد أو الأمة من حشه.. فيلوى العمود في عنقه فلا يقدر أحد أن يحله عنه حتى يحله يحيى رضي الله عنه. و لما ضايقه الأمراء و ضنوا عليه بجرياته في بيت المال، كان يجوع و يعرض عليه الطعام فيأبه و يقول: «ان عشنا أكلاًنا». ثم ثار و بلغت أبناء ثورته بغداد، فأقبلت عليهم الجموع المحشودة لقتاله، و أسرع اليه بعض الاعراب فصاح به: «أيها الرجل، أنت مخدوع... هذه الخيل قد أقبلت»... فوثب إلى متن فرسه فجال به، و حمل على قائد القوم فضربه ضربة بسيفه على وجهه.. فولى منهزاً و تبعه أصحابه، فجلس معهم ساعة و هو لا- يبالي ما يكون. و لما تکاثرت عليه الجموع و قتل بعد ذلك، اتهم الناس صاحبه الهيضم العجل في انه كان مدسوساً عليه، و انه غرر به لينكص عنه عند احتدام القتال. فأقسم الرجل بالطلاق انه لم يكت له في الهزيمة صنع مدبر... قال: «و انما كان يحيى يحمل وحده و يرجع، فنهيته عن ذلك فلم يقبل... و حمل [صفحة ٤٨] مرءة كما كان يفعل، فبصرت عيني به و قد صرع في وسط عسكره،

فلما رأيته قتل انصرفت بأصحابي». و يحيى الشهيد هذا هو الذى قال ابن الرومى جيميته المشهورة فى وصف قتاله و مقتله، و هى طولية منها قوله يخاطب أمراء زمانه: «فلا شهد الهيجا بقلب أيكم غداة التقى الجماع و الخيل تمعج [١]. لأعطي يد العانى أو ارتد هاربا كما ارتد بالقاع الظليم [٢] المهجي و لكنه ما زال يغشى بنحره شبا الحرب حتى قال ذو الجهل: أهوج و حاشى له من تلکم غير أنه أبي خطئة الأمر الذى هو أسمى و أين به عن ذاك؟... لاـ أين - انه اليه بعرقه الزكين مخرج كأنى به كالليث يحمى عرينه و أشباهه لا يزدهيه المهجهج [صفحه ٤٩] كدأب على فى المواطن قبله - أبي حسن - و الغصن من حيث يخرج كأنى أراه اذ هو عن جواده و عفر بالتراب الجبين المشجع فحب به جسما الى الأرض اذ هو عن حب به روحنا الى الله تعرج وقد أصاب ابن الرومى الوصف و التعليل، فما كان كل من يحيى و لا أسلافه من قبله الا عليا صغيرا يتأنى بعلى الكبير، او غصنا زاكيا يخرج من دوحته الكبيرة، «و الغصن من حيث يخرج» كما قال، و لولا قوه هذه الطبائع فى أساس الأسرة الطالية لما انحدرت على هذه الصورة الواضحة بعد ستة أجيال. فنحن نرى يحيى بن عمر بعد هذه الأجيال - و هو بعموده الحديدى و جرأته التى لا تتزعزع و يقينه الذى لا يلوى به الاغراء و الوعيد - كأنما هو نسخة من جده الكبير الذى يحمل بباب خير و قد أغيا حمله الرجال، و ينهى لعمرو بن ود و قد تهييه مئات الابطال، و يتوسط الصفوف حاسرا و قد بزوا له بشكاة القتال و دروع النزال.. و لم يكن لبني أمية - على نقىض هذا - نصيب ملحوظ من الخلائق [صفحه ٥٠]

المثالىة و الشمائى الدينية، و لا كان ظهور النبوة فى أسرة منافسة لأسرتهم من شأنه أن يعزز مناقبها فيهم كما يعتز بها أبناء بيتها و فروع أرمونتها. بل لعله كان من شأنه أن يجنب بهم من طرف خفى إلى صفات تقابل تلك الصفات، و مزايا تعوض لهم ما فاتهم من تلك المزايا... فتمكنت فيهم قبل ظهور النبوة و بعدهما خلائقهم العملية التي دربتهما على المساومات التجارية و راضهم عليها مراس المطامع السياسية. فاشتهر أناس من رؤوسهم بمحاسن هذه الخلائق و معائبها على السواء، و شاعت عنهم صفات الحلم و الصبر و الحنكة و الدهاء كما شاعت عنهم صفات المراوغة و الجشع و الاقبال على الترف و مناصم الحياة. و لقد تقابل الحسين بن على و يزيد بن معاوية في تمثيل الأسرتين، كما تقابلـ في كثير من الخلائق و الحظوظ.. و لكنها تفاوتا في تمثيل أسرتيهما كما تفاوتا في غير ذلك من وجوه الخلاف بينهم. فكان الحسين بن على نموذجا لأفضل المزايا الهاشمية و لم يكن يزيد بن معاوية نموذجا لأفضل المزايا الأممية، بل كان فيه الكثير من عيوب أسرته و لم يكن له من مناقبها المحمودة الاـ القليل. و ليس لنا هنا أن نفصل القول في أحوال كل من الرجلين و خصائص كل من النموذجين، و لكننا نجترىء منهمما بما يملا الكفتين في هذا الميزان، [صفحه ٥١] و هو ميزان الأريحية و النفعية في حدث كبير من حوادث التاريخ العربي يندر نظيره في جميع التواريخ.

مكانة الحسين

و اذا كانت المعركة كلها هي معركة الأريحية و النفعية، فالمزية الأولى التي ينبغي توكيدها لنا للحسين بن على رضى الله عنه هي مزية نسبة الشريف و مكانه من محبة النبي عليه الصلاة و السلام... ان المؤرخ الذي يكتب هذا الحادث قد يكون عربيا مسلما أو يكون من غير العرب، و المسلمين، و قد يؤمن بمحمد أو ينكر محمدا و غيره من الأنبياء.. و لكنه يخطيء دلالة الحوادث التاريخية اذا استخف بهذه المزية التي قلنا انها أحق مزايا الحسين بالتوكيد في الصراع بينه و بين يزيد. فليس المهم أن يؤمن المؤرخون بقيمة ذلك النسب الشريف في نفوسيهم أو قيمته في علوم العلماء و أفكار المفكرين، و لكننا المهم أن أتباع يزيد كانوا يؤمنون بحق ذلك النسب الشريف في الرعاية و المحبة، و أنهم مع هذا غلبتهم منافعهم على شعورهم فكانوا من حزب يزيد و لم يكونوا من حزب الحسين... فلولا هذه المزية في الحسين لما وضح الصراع بين الأريحية و النفعية عند الفريقين، و لا كان المصطرون هنا و هناك من مزاجين مختلفين، [صفحه ٥٢] و لاـ كان للمعركة كلها تلك الدلالة التي كشفت النفس الإنسانية في جانبيـ منها قويـين، يتنازعـان حـوـادـثـ الـأـمـمـ وـ الـأـفـرـادـ منـ زـمـانـ بـعـيدـ، وـ سـيـظـلـانـ عـلـىـ نـزـاعـهـماـ هـذـاـ إـلـىـ زـمـانـ بـعـيدـ. وـ لـقـدـ كـانـ الحـسـيـنـ بـنـ عـلـىـ بـهـذـهـ المـزـيـةـ أـحـبـ اـنـسـانـ إـلـىـ قـلـوبـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـ أـجـدـرـ اـنـسـانـ أـنـ تـنـعـطـفـ إـلـىـ الـقـلـوبـ. كـانـ النـبـيـ عـلـىـ السـلـامـ هـوـ الـذـيـ سـمـاهـ، وـ سـمـىـ مـنـ قـبـلـهـ أـخـاـهـ... قـالـ عـلـىـ

رضي الله عنه: «وَلَمَا وَلَدَ الْحَسْنَ سُمِيَتْهُ حَرْبًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: (أَرَوْنِي ابْنِي مَا سُمِيَّتْهُ؟). قَلَتْ: (حَرْبًا!). فَقَالَ: (بَلْ هُوَ حَسْنٌ) فَلَمَّا وَلَدَ الْحَسْنَ سُمِيَتْهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: (أَرَوْنِي ابْنِي... مَا سُمِيَّتْهُ؟). قَلَتْ: (حَرْبًا!) فَقَالَ: (بَلْ هُوَ حَسْنٌ)...» وَذَهَبَ الْحَسْنُ وَأَخْوَتُه كُلَّ مَا فِي فَوَادِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَحْبَّةِ الْبَنِينَ، وَهُوَ مُشْوَقٌ لِلْفَوَادِ إِلَى الذُّرَيْهُ مِنْ نَسْلِهِ. فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَطِيقُ أَذَاهِمَا، وَلَا يَحْبُّ أَنْ يَسْتَعِمَ إِلَى بَكَاءِ مِنْهُمَا فِي طَفُولَتِهِمَا، عَلَى كُثُرَةِ مَا يَبْكِي الْأَطْفَالَ الصَّغَارِ. وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ يَوْمًا، فَمَرَّ عَلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ فَسَمِعَ حَسِينًا يَبْكِي، فَقَالَ: «أَلَمْ تَعْمَلِي أَنْ بَكَاءَهُ يَؤْذِنِي؟». وَكَانَ يَقُولُ: «إِدْعَى إِلَى ابْنِي».. فَيَشْمَهُمَا وَيَضْمَهُمَا إِلَيْهِ، وَلَا يَبْرُحُ [صفحة ٥٣] حَتَّى يَضْحَكَهُمَا وَيَتَرَكَهُمَا ضَاحِكِينَ. وَرَوَى أَبُوهُرَيْرَةُ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُ لِسَانَهُ لِلْحَسِينِ، فَيَزِيِّ الصَّبَرَ حَمْرَةَ لِسَانِهِ فِيهِشُ الْيَهِ، وَكَانَ عَيْنَيْهِ بَنْ بَدْرٍ، شَهَدَهُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ فَقَالَ مُتَعْجِبًا: «يَصْنَعُ هَذَا بِهِذَا؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ لِي الْوَلَدَ وَمَا قَبْلَتِهِ قَطْ!» قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَا يَرْحُمُ، لَا يُرْحَمُ؟». وَخَرَجَ لَيْلَةً فِي احْدَى صَلَاتِي الْعَشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حَسِينًا، فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَرَ لِلصَّلَاةِ فَأَطَالَ سَجْدَةَ الصَّلَاةِ، قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: «فَرَفَعَتْ رَأْسِي فَإِذَا بِالصَّبَرِ عَلَى ظَهَرِ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعَ إِلَى سُجُودِهِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاةَ قَبْلِ يَرْسُولِ اللَّهِ: إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهَرِيِّ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطْلَتْهَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرًا أَوْ أَنَّهُ يَوْحِي إِلَيْكَ..» قَالَ: «كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ... وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهَتْ أَنْ أَعْجَلَهُ..» وَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ وَعَلَيْهِمَا قَمِصَانَ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ.. فَنَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَنْبِرِ، فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدِيهِ ثُمَّ قَالَ: «صَدِقَ اللَّهُ!.. (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّةٌ).. نَظَرَتِي إِلَى هَذِينَ الصَّبَيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيشَيْ وَرَفْعَتُهُمَا». وَلَا يَوْجِدُ مُسْلِمٌ فِي الْعَصْرِ الْقَدِيمِ أَوِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ يَحْبُّ نَبِيَّهُ كَمَا يَحْبُّ [صفحة ٥٤] الْمُؤْمِنَوْنَ أَنْبِيَائِهِمْ، ثُمَّ يَصْغُرُ عَنْهُ حَسَابُ هَذَا الْحَنَانِ الَّذِي غَمَرَ بِهِ قَلْبَهُ الْكَرِيمِ سَبْطِيِّهِ وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ.. فَبِهِذَا الْحَنَانِ النَّبُوِيِّ قَدْ أَصْبَحَ الْحَسِينُ فِي عَدَادِ تَلْكَ الشَّخْصَ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي تَتَخَذُ مِنْهَا الْأَمْمُ وَالْمَلَلُ عَنْوَانًا لِلْفَخْرِ، أَوْ عَنْوَانًا لِلْأَلَمِ وَالْفَدَاءِ.. فَإِذَا بِهَا مُحَبُّ كُلِّ فَرْدٍ وَمُفْخَرَتِهِ، وَمَوْضِعُ عَطْفَهُ وَإِشْفَاقَهُ، كَأَنَّمَا تَمَتَّتِي إِلَيْهِ وَحْدَهُ بَصَلَةُ الْقِرَابَةِ أَوْ بَصَلَهُ الْمَوْدَةِ.. وَقَدْ بَلَغَ الْحَسِينَ بِهِذَا الْحَنَانِ - مَعَ الرَّزْمِ - مَبْلَغَهُ مِنْ تَلْكَ الْمَكَانَةِ الرَّمْزِيَّةِ فَأَوْشَكَ بَعْضَ وَاصْفَيْهِ أَنْ يَلْحَقَهُ فِي حَمْلِهِ وَوَلَادَتِهِ وَرَضَاعَهِ بِمَوَالِيدِ الْمَعْجَزَاتِ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَمْ يَوْلُدْ مُولُودٌ لِسَتَةَ أَشْهُرٍ وَعَاشَ إِلَّا الْحَسِينُ وَعَيْسَى بْنُ مَرِيمٍ». وَقَالَ آخَرُونَ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ تَرْضَعْهُ أُمُّهُ وَلَمْ تَرْضَعْهُ أُنْثِي «وَاعْتَلَتْ فَاطِمَةُ لِمَا وَلَدَتِ الْحَسِينَ وَجَفَ لِبَنِهَا فَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ مَرْضَعَهُ فَلَمْ يَجِدْ، فَكَانَ يَأْتِيهِ فَيَلْقِمُهُ أَبْهَامَهُ فَيَمْصُهُ وَيَجْعَلُ اللَّهَ فِي أَبْهَامِ رَسُولِهِ رِزْقًا يَغْذِيَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَأَنْبَتَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لِحْمَهُ مِنْ لَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ..» وَرَوَى عَنْهُ غَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي تَحْيِطُ بِهَا الْأَمْمُ تَلْكَ الشَّخْصَ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي تَعْزَّزُهَا وَتَغْلِيَهَا فَتَلْتَمِسُ لَهَا مُولَدًا غَيْرَ الْمَوْلَدِ الْمَأْلَوْفِ، وَالشَّأْءُوْمَ الْمَعْهُوْدَةُ، وَتَلْحَقُهَا أَوْ تَوْشِكُهَا أَنْ تَلْحَقَهَا بِالْخَوَارِقِ وَالْمَعْجَزَاتِ.. وَلَقَدْ كَانَتْ حَقِيقَةُ الْحَسِينِ الشَّخْصِيَّةُ كَفُورًا لِتَلْكَ الصَّورَةِ الرَّمْزِيَّةِ [صفحة ٥٥] الَّتِي نَسْجَتْهَا حَوْلَهُ الْأَجِيَالُ الْمَتَعَاقِبَةُ قَبْلَ أَنْ يَرِيَ مِنْهُ أَبْنَاءُ جِيلِهِ غَيْرَ تَلْكَ الْحَقِيقَةِ.. فَكَانَ مَلِءُ الْعَيْنِ وَالْقَلْبُ فِي خَلْقٍ وَخَلْقٍ، وَفِي أَدْبٍ وَسِيرَةٍ، وَكَانَتْ فِيهِ مَشَابِهٌ مِنْ جَدِهِ وَأَيْهِ.. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي شَدِّتِهِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ.. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشِيرًا إِلَى الْحَسِينِ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيُخْرُجُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَشْبَهُهُ أَهْلِي بِي الْحَسِينِ». وَاتَّفَقَ بَعْضُ الثَّقَاتِ عَلَى أَنَّ «الْغَالِبَ عَلَى الْحَسِينِ الْحَلْمُ وَالْأَنَاءُ كَالْبَنِيِّ، وَعَلَى الْحَسِينِ الشَّدَّةُ كَعَلَى».

صفات الحسين

وَقَدْ تَعْلَمَ فِي صَبَاهُ خَيْرَ مَا يَتَعَلَّمُهُ أَبْنَاءُ زَمَانِهِ مِنْ فَنَّوْنَ الْعِلْمِ وَالْأَدْبِ وَالْفَرَوْسِيَّةِ، وَإِلَيْهِ يَرْفَعُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَتصَوِّفَةِ وَحُكْمَاءِ الدِّينِ نَصْوَصَهُمُ الَّتِي يَعْلَوْنَ عَلَيْهَا وَيَرْدُونَهَا إِلَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وَقَدْ أَوْتَ مَلْكَهُ الْخَطَابَةِ مِنْ طَلَاقَهُ لِسَانٍ وَحَسْنَ بَيَانٍ وَغَنَّهُ صَوْتٍ وَجَمَالَ اِيمَاءٍ.. وَمِنْ كَلَامِهِ الْمُرْتَجَلِ قَوْلُهُ فِي تَوْدِيعِ أَبِي ذَرٍ وَقَدْ أَخْرَجَهُ عُثْمَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مَعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ: «يَا عَمَّا! إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَغْيِرَ مَا قَدْ تَرَى.. وَاللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ.. وَقَدْ مَنَعَكَ الْقَوْمُ دُنْيَاهُمْ وَمَنْعَتْهُمْ دِينَكُ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعَكَ وَأَحْوَجَهُمُ إِلَى مَنْعَتِهِمْ، فَاسْأَلِ اللَّهَ الصَّبَرَ وَالنَّصْرَ، وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الْجَحْشِ وَالْجَزْعِ، فَإِنَّ الصَّبَرَ مِنَ الدِّينِ وَالْكَرَمِ، وَإِنَّ الْجَحْشَ لَا يَقْدِمُ

رزقا و الجزء لا يؤخر أجالا». [صفحة ٥٦] و كان يومئذ في نحو الثلاثين من عمره فكانما أودع هذه الكلمات شعار حياته كاملاً منذا أدرك الدنيا الى أن فارقها في مصرع كربلاء. و تواترت الروايات بقوله الشعر في أغراض الحكماء و بعض المناسبات البيتية، و من ذلك هذه الآيات: اغن عن المخلوق بالخالق تغى عن الكاذب و الصادق و استرزق الرحمن من فضله فليس غير الله من رازق من ظن أن الناس يغونه فليس بالرحمن بالواثق و منه هذان البيتان في زوجته و ابنته: لعمري انني لأحب دارا تكون بها سكينة و الباب أحبهما و أبدل كل مالي و ليس لعاتب عندي عتاب و هما - سواء صحت نسبتها اليه أو لم تصح - معبران عن خلقه في بيته و بين أهله، فقد كان من أشد الآباء حدبا على الأبناء و أشد الأزواج [صفحة ٧٥] عطفا على النساء، و من وفاة زوجاته بعد مماته أن الباب هذه التي ذكرت في البيتين السابقتين خطبها أشرف قريش بعد مقتله فقالت: «ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله».. و بقيت سنة لا يظلها سقف حتى فنيت و ماتت، و هي لا تفتر عن بكائه و الحزن عليه..

خلق كريم

و قد سن الحسين لمن بعده سنة في آداب الأسرة تليق بالبيت الذي نشأ فيه و وكل اليه أن يرعى له حقه و يوجب على الناس مهابته و توقيره، فهو على فضله و ذكائه و شجاعته و رجحانه على أخيه الحسن في مناقب كثيرة و ما ثر عده كان يستمع إلى رأي الحسن ولا يسوءه بالمراجعة أو المخالفة. فلما هم الحسن بالتسليم لمعاوية كان ذلك على غير رضى من الحسين. فلم يوافقه و أشار عليه بالقتال، فغضب الحسن و قال له: «و الله لقد هممت أن أسجنك في بيتك و أطين عليك بابه، حتى أقضى بشانى هذا و أفرغ منه ثم أخرجك..». فلم يراجعه الحسين بعدها و آثر الطاعة و السكوت.. و من رعايته لسن الأسرة و وصايا الأبوة انه ركب دين فساومه معاوية بمائى ألف دينار أو بمبلغ جسيم من المال على عين «أبى يزرا» فأبى [صفحة ٥٨] أن يبعها مع حاجته إلى بعض ما عرض عليه - لأن أباه تصدق بعما لها لفقراء المدينة، و لو أنه باعها لوقفها معاوية على أولئك الفقراء. و قد أخذ نفسه بسمت الورقار في رعاية أسرته و رعاية الناس عامة.. فهابه الناس و عرف معاوية عنه هذه المهابة فوصفه لرجل من قريش ذاهب إلى المدينة فقال: «إذا دخلت مسجد رسول الله فرأيت حلقة فيها قوم كان على رؤوسهم الطير، فتلوك حلقة أبي عبدالله مؤتررا إلى أنصاف ساقيه..» و لم يذكر عنه قط أنه كان يواجه الناس بتخطئة و هو يعلمهم و يصر لهم بشؤون دينهم، الاـ أن تكون مكابرة أو لجاجة فله في جواب ذلك أشباه تلك القوارص التي كانت تؤثر عن أبيه. و ما لم تكن مكابرة أو لجاجة فهو يحتال على تصحيح الخطأ حيله لاـ غضاضة فيها على المخطئين. فمن آدابه و آداب أخيه في ذلك أنهما رأيا اعرابيا يخفف الوضوء و الصلاة فلم يشاء أن يجهوه بغلطه و قال له: «نحن شباب و أنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء و الصلاة منا، فنتوضا و نصلى عندك، فان كان عندنا قصور تعلمنا». فتبه الشيخ إلى غلطه دون أن يأنف من تنبئهما إليه. و مر يوما بمساكين يأكلون فدعوه إلى الطعام على عادة [صفحة ٥٩] العرب، فنزل و أكل معهم ثم قال لهم: «قد أجبتكم فأجيوني» و دعاهم إلى الغداء في بيته. و رويت الغرائب في اختبار حذقه بالفقه و اللغة كما رویت أمثل هذه الغرائب في امتحان قدرة أبيه عليهما السلام... فقيل ان اعرابيا دخل المسجد الحرام فوقف على الحسن رضي الله عنه و حوله حلقة من مريديه فسأل عنه، فقال لما عرفوه به: «اياه أردت... جئت لأطارحه الكلام و أسعه عن عويس العربية». فقال له بعض جلسائه: «ان كنت جئت لهذا فابدا بذلك الشاب». و أومأ إلى الحسين عليهما السلام، فلما سلم على الحسين و سأله عن حاجته قال: «اني جئت من الهرقل و الجعلل و الأيتيم و الهمهم» فتبسم الحسين و قال:ـ يا اعرابي!... قد تكلمت بكلام ما يعقله الا العالمون. فأجابه الأعرابي قائلاً يريد الاغراب: و أقول أكثر من هذا، فهل أنت مجبي على قدر كلامي؟... ثم أذن له الحسين فأنشد أبياتاً تسعه، منها: هفا قلبي إلى الله و قد ودع شرخيه فأجابه الحسين مرتجلاً بتسعة أبيات في معناها و من وزنها و قوافيها، يقول منها: [صفحة ٦٠] فما رسم شجاني قد محت آيات رسميه سفور درجت ذيلين قد بوغاء قاعيه هتف مرجف ترى على تلبيس ثوبيه الى آخر الأبيات... ثم فسر ما أراد من الهرقل و هو ملك الروم، و الجعلل و هو قصار النخل، و الأيتيم و هو بعض النبات، و الهمهم و هو القليب الغزير الماء، و في هذه

الكلمات أوصاف البلاد التي جاء منها و اشاره اليها... فقال الاعرابي: «ما رأيت كاليلم أحسن من هذا الغلام كلاما، وأذرب لسانا، ولا أفصح منه منطقا». وتلك روایة من روایات على منوالها، ان لم تنبئ بما وقع فھي منبئ بما تداوله الناس من شهرة الحسين في صباه الباكر بالعلم والفصاحة... و الخبرته بالكلام و شهرته بالفصاحة، كان الشعرا يرتادونه و بهم من الطمع في اصغائه أكبر من طمعهم في عطائه... و لكنه على هذا كان يجري معهم على شرعة ذوى الأقدار و الأخطار من أنداده، فيبذل لهم الجوائز ما وسعه البذل و يؤثرهم على نفسه في خصاصة الحال. وقد لامه أخوه الحسن في ذلك فكتب اليه «ان خير المال ما وقى به العرض» الا أنه في الواقع لم يكن يعطي لو قاية العرض و كفى، [صفحة ٦١] و لكنه كان يعطى من قصده من ذوى الحاجات و لا يخيب رجاء لمن استعان به على مروءة.

وفاء و شجاعة

و قد اشتهر مع الجود بصفتين من أكرم الصفات الإنسانية و أوليّهما بيته و شرفه، و هما الوفاء و الشجاعة. فمن وفائه أنه أبي الخروج على معاويه بعد وفاة أخيه الحسن لأنّه عاهد معاويه على المسالمة، وقال لأنصاره الذين حرضوه على خلع معاويه أن بينه وبين الرجل عهدا و عقدا لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، و كان معاويه يعلم وفاته وجوده معا، فقال لصاحبه يوما و قد أرسل الهدايا إلى وجوه المدينة من كسى و طيب و صلات: «ان شتم أبنائكم بما يكون من القوم... أما الحسن فعلى ينيل نساءه شيئا من الطيب و يهب ما بقي من حضره و لا يتذكر غائبا، و أما الحسين فيبدأ بأيّام من قتل مع أبيه بصفين فان بقي شيء نحر به الجزر و سقى به اللبن...» و شجاعة الحسين صفة لا تستغرب منه لأنها «الشيء من معدنه» كما قيل. و هي فضيلة ورثها عن الآباء و أورثها الأبناء بعده، و قد شهد الحروب في إفريقية الشمالية و طبرستان و القسطنطينية، و حضر مع أبيه و قائمه جميعا من الجمل إلى صفين. و ليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً من أقدم عليه الحسين في يوم كربلاء. [صفحة ٦٢] و قد تربى للشجاعة كما تلقاها في الدم بالوراثة، فتعلم فنون الفروسية كركوب الخيل و المصارعة و العدو من صباه و لم تفته ألعاب الرياضة التي تتم بها مرانة الجسم على الحركة و النشاط... و منها لعبة تشبه «الجولف» عند الأوروبيين كانوا يسمونها المداحي: جمع مدحاء، و هي أحجار مثل القرص يحفرون في الأرض حفرة و يرسلون تلك الأحجار، فمن وقع حجره في الحفيرة فهو الغالب. أما عادته في معيشته فكان ملاكها لطف الحس و جمال الذوق و القصد في تناول كل مباح. كان يحب الطيب و البخور، و يأنق للزهر و الريحان... و روى أنس بن مالك انه كان عنده فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان فحيته بها. فقال لها: «أنت حرة لوجه الله تعالى» فسألته أنس متعجبًا: «جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟». فقال: «كذا أدبنا الله... قال تبارك و تعالى: (و اذا حيتم بتحية فحيوا بتحية فأحسن منها او ردوها)... و كان أحسن منها عتقها». و كان يميل للفكاهة و يأنس في أوقات راحته لأحاديث أشعب و أضاحيكه، و لكنه على شيوخ الترف في عصره لم يكن يقارب منه الا [صفحة ٦٣] ما كان يحمل بمثله... حتى تحدث المتحدثون أنه لا يعرف رائحة الشراب... و كانت له صلوات يؤديها غير الصلوات الخمس، و أيام من الشهر يصوم نهاها و يقوم ليها... و قد عاش سبعا و خمسين سنة بالحساب الهجري، و له من الأعداء من يصدقون و يكذبون... فلم يعبه أحد منهم بمعايه و لم يملك أحد منهم أن ينكر ما ذاع من فضله، حتى حار معاويه بعيه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له. و اقتروا عليه أن يكتب اليه بما يصغره في نفسه. فقال انه كان يجد ما يقوله في على، و لكن لا يجد ما يقوله في حسين. تلك جملة القول في سيرة أحد الخصمين...

خلق يزيد

و يقف خصميه أمامه موقف المقابلة و المناقضة لا موقف المقارنة و المعادلة في معظم خلائقه و عاداته و ملوكاته و أعماله. فيزيد بن معاويه عريق النسب فيبني عبد مناف ثم في قريش، و لكن الأصدقاء و الخصوم و المادحين و القادحين متفقون على وصف الخلائق

التي اشتهر بها أبناء هذا الفرع من عبدمناف. وأشهرها الأثرة، [صفحة ٦٤] وأحمد ما يحمد منها أنها تنفع الناس من طريق النفع ل أصحابها. وندر من وجوه الأمويين في الجاهلية أو الاسلام من اشتهر بخصلة تجلب إلى صاحبها ضرراً أو مشقة في سبيل نفع الناس... وبيت أبي سفيان بيت سيادة مرجعية لا مراء فيها... ولكن الحقيقة التي ينبغي ان نذكرها في هذا المقام أن معاوية بن أبي سفيان لم يكن ليثر شيئاً من هذه السيادة التي كان قوامها كله و فرء المال، لأن أبي سفيان على ما يظهر قد أضاع ماله في حروب الاسلام ولم يكن له من الوفر ما يبقى على كثرة الوراث. وروى أن امرأة استشارات النبي عليه السلام في التزويج بمعاوية فقال لها: «انه صعلوك!...» كذلك ينبغي أن نذكرحقيقة أخرى في هذا المقام، وهي أن معاوية لم يكن من كتاب الوحي كما أشاع خدام دولته بعد صدر الاسلام، ولكنه كان يكتب للنبي عليه السلام في عامه الحوائج وفي اثبات ما يجب من الصدقات وما يقسم في أربابها، ولم يسمع عن ثقة قط انه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم. وعرفت لمعاوية خصال محمودة من خصال الجد والسيادة كاللقار والحلم والصبر والدهاء، ولكنه على هذا كان لا يملك حلمه في فلتات تميد بالملك الراسخ، ومنها قتله حجر بن عدى وستة من أصحابه لأنهم كانوا [صفحة ٦٥] ينكرون سب على وشيعته، فمازال بقية حياته يندم على هذه الفعلة ويقول: «ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيما قتلت ما خلا حجرًا فاني لا أعرف بأي ذنب قتلتة...» وأم يزيد هي ميسون بنت مجلد الكلبيه من كرائمبني كلب المعرقات في النسب، وهي التي كرهت العيش مع معاوية في دمشق وقالت تتشوق إلى عيش البادية: للبس عباءة و تقر عيني أحبابي من ليس الشفوف وبيت تحف الأرواح فيه أحبابي من قصر منيف... و من هذه الآيات قولهما: خرق من بنى عمى فقير أحبابي من علوج عنيف!... فأرسلها و ابنها يزيد إلى باديتها، فنشأ يزيد مه أمه بعيداً عن أبيه... و قد أفاد من هذه النشأة البدوية بعض أشياء تنفع الأقوياء، ولكنها على ما هو مأثور في أعقاب السلالات القوية تضيرهم و تجهز على ما بقي من العزيمة فيهم... [صفحة ٦٦] فكان ما استفاده من باديبة بني كلب بلاغة الفصحى، وحب الصيد، وركوب الخيل، ورياضة الحيوانات و لا سيما الكلاب. و هذه صفات في الرجل القوي تزينة و تشحذ قواه، ولكنها في أعقاب السلالات - أو عكاره البيت كما يقال بين العامة - مداعاة إلى الاغراق في اللهو واللع بالفراغ لأنها هي عنده كل شيء و ليست مدة لغيرها من كبار الهمم و عظام الهموم. و هكذا انقلبت تلك الصفات في يزيد من المزية إلى النقيصة... فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاصرة الشعراء و الندماء في مجالس الشراب، و كان و لعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك و السياسة، و كانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرادين و الفهادين، فكان له قرد يدعوه «أباقيس» يلبسه الحرير و يطرز لباسه بالذهب و الفضة و يحضره مجالس الشراب، و يركبه أتانا في السباق و يحرص على أن يراه سابقاً مجلياً على الجياد، و في ذلك يقول يزيد كما جاء في بعض الروايات: تمسك أباقيس بفضل عنانها فليس عليها ان سقطت ضماناً إلا من رأى القرد الذي سبقت به حاد أمير المؤمنين أتان [صفحة ٦٧] و قد يكون عبدالله بن حنظلة مبالغ في المذمة حين قال فيما نسب إليه: «و الله ما خرجنا مع يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء ان رجلاً ينكبح الأمهات و البنات و الأخوات و يشرب الخمر و يدع الصلاة، و الله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسنا». و لكن الروايات لم تجمع على شيء كاجماعها على ادمانه الخمر، و شغفه باللذات، و توانيه عن العظام... و قد مات بذات الجنب و هو لما يتجاوز السابعة و الثلاثين، و لعلها اصابة الكبد من ادمان الشراب و الافراط في اللذات. و لا يعقل أن يكون هذا كله اختلافاً و اختراعاً من الأعداء لأن الناس لم يختلقوا مثل ذلك على أبيه أو على عمرو بن العاص، و هما بعضاً أشد البعض إلى أعداء الأمويين... و لأن الذين حاولوا ستره من خدام دولته لم يحاولوا الثناء على مناقب فيه تحل عندهم محل مساوئه و عيوبه، كأن الاجتراء على مثل هذا الثناء من وراء الحسبان. و لم يكن هذا التخلف في يزيد من هزال في البنية أو سقم اعتراه كذلك القسم الذي يعتري أحياناً بقايا السلالات التي تهم بالانقراض و الدثور، و لكنه كان هزاً - في الأخلاق و سقماً في الطوية... قعد به عن العظام مع وثوق بنيانه و ضخامة جثمانه و انصافه ببعض الصفات الجسدية [صفحة ٦٨] التي تزيد في وجاهة الأمراء كالوسامة و ارتفاع القامة. و قد أصيب في صباحه بمرض خطير - و هو الجدرى - بقيت آثاره في وجهه إلى آخر عمره، و لكنه مرض كان يشيع في البادية و لم يكن من دأبه أن يقع ب بكل من أصيب به

عن الطموح والكفاح. وعلى فرط و لعه بالطراز حين يكون الطراز لهوا و فراغا، كانت همته الوانية تفتر به عن الطراز حين تتسبق اليه عزائم الفرسان في ميادين القتال، ولو كان دفاعا عن دينه و دنياه. فلما سير أبوه جيش سفيان بن عوف إلى القسطنطينية لغزو الروم و دفاعا عن بلاد الاسلام - أو بلاد الدولة الاموية - تناقل و تمارض حتى رحل الجيش و شاع بعد ذلك أنه امتحن في طريقه ببلاد المرض و الجوع، فقال يزيد: ما أن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى و من مومن اذا اتكأت على الأنماط مرتفقا بدير مران عندى أم كلثوم فأقسم أبوه حين بلغه هذان البيتان ليتحقق بالجيش ليdra عنده عار [صفحة ٦٩] النكول و الشماتة بجيش المسلمين بعد شيوخ مقاله في خلواته... و من أعجب عجائب المناقضة التي تمت في كل شيء بين الحسين و يزيد أن يزيد لم يختص بمزية محمودة تقابل نظائرها من مزايا الحسين، حتى في تلك الخصال التي تأتي بها المصادفة و لا فضل فيها لأصحابها و منها مزية السن و سابقة الميلاد... فلما تنازعه البيعة كان الحسين في السابعة و الخمسين مكتمل القوة ناضج العقل و في المعرفة بالعلم و التجربة، و كان يزيد في نحو الرابعة و الثلاثين لم يمارس من شئون الرعاة و لا الرعية ما ينفعه بين هؤلاء أو هؤلاء. و مزية السن هذه قد يطول فيها الآخذ و الرد بين أبناء العصور الحديثة، و لكنها كانت تقطع القول في أمم العرب حيث نشأ الألاف و الأخلاف على طاعة الشیوخ و رعایة الأعمار... و هذا على أن السابعة و الخمسين ليست بالسن التي تعلو ب أصحابها في الكبر حتى تسلبه مزية الفتولة و مضاء العزيمة... كذلك لا يقال أن «الوراثة المشروعة» في المالك كان لها شأن يرجح بيزيد على الحسين في ميزان العروبة و الاسلام. فقد كان توريث معاوية ابنه على غير وصية معروفة من السلف بدعة هرقلية كما سماها المسلمين [صفحة ٧٠] في ذلك الزمان، و لم يكن معقولا أن العرب في صدر الاسلام يوجبون طاعة يزيد لأنه ابن معاوية و هم لم يوجبوا طاعة آل النبي في أمر الخلافة لأنهم قرابة محمد عليه السلام. فقد شاعت عجائب التاريخ اذن أن تقيم بين ذينك الخصمين قضية تتضح فيها التزعة النفعية على نحو لم تتضمنه قط في أمثالها من القضايا، و قد وجب أن ينحدل يزيد كل الخذلان لو لا التزعة النفعية التي أعادته و هو غير صالح لأن يستعين بها بغير أعون من بطانته و أهله. و لئن كان في تلك التزعة النفعية مسحة تشوبها من غير معدنها الوضيع لتكون هي عصبية القبيلة من بنى أمية، و هي هنا نزعة مواربة تعارض اليمان الصريح و لا تسلم من الخلط و التلبيس. لهذا شك بعض الناس في اسلام ذلك العجل من الاميين، و هو شك لا نرتضيه من وجهة الدلائل التاريخية المتفق عليها. فقد يخطر لنا الشك في صدق دين أبي سفيان لأن أخباره في الاسلام تحتمل التأويلين، و لكن معاوية كان يؤدى الفرائض و يتبرك بترااث النبي و يوصى أن تدفن معه أظافره التي حفظها إلى يوم وفاته. و ليس بيسير علينا أن نفهم كيف ينشأ معاوية الثاني على تلك التقوى و ذلك الصلاح و هو ناشيء في بيت مدخول الاسلام، يتصرّح أهله أحيانا بما ينم على الكفر به أو التردد فيه... [صفحة ٧١] إنما هي الأثر، ثم الخرق في السياسة، ثم التمادي في الخرق مع استثناء العnad و العداء. و في تلك الأثر و لواحقها ما ينشيء المقابلة من أحد طرفيها في هذه الخصومة، و يتم المقابلة في شتي بواتتها بين ذينك الخصمين الخالدين، و نعني بهما هنا المثالى و الواقعية، و ما الحسين و اليزيد الا المثالان الشاخصان منهمما للعيان... [صفحة ٧٣]

اعوان الفريقين

رجال المعسكرين

كان الحسين في طريقه الى الكوفة - يوم دعاه شيعته اليها - يسأل من يلقاها عن أحوال الناس فينبئونه عن موقفهم بينه و بين بنى أمية، و قلما اختلعوا في الجواب... سأله الفرزدق و هو خارج من مكانه - و الفرزدق مشهور بالتشييع لآل البيت - فقال له: «قلوب الناس معك و سيفهم مع بنى أمية، و القضاء ينزل من السماء، و الله يفعل ما يشاء». و قال له مجمع بن عبيد العامر: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم و ملئت غرائزهم فهم ألب واحد عليك، و أما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوى اليك و سيفهم غدا مشهورة عليك». و قد

أصاب الفرزدق وأصاب مجمع بن عبيد، فان الناس جمیعاً كانوا بأهواهم وأفتدتهم مع الحسين بن علي ما لم تكن لهم منفعة موصولة بملك بنى أمیة، فهم اذن عليه بالسيوف التي تشهرها الأيدي دون القلوب. [صفحة ٧٤] وقد «اعظمت الرشوة» للرؤساء وأعظمت لهم من بعدها الوعود والأمال، فعلموا أن دوام نعمتهم من دوام ملك بنى أمیة... فاما الرؤساء الذين كانت لهم مكانتهم بمعرض عن الملك القائم، فقد كانوا ينصرون حسيناً ولا ينصرون الأمويين أو كانوا يصانعون الأمويين ولا يبلغون بالمصانعة أن شهروا الحرب على الحسين. و من هولاء هانيء بن عروة من كبار الزعماء في قبائل كندة، و شريك بن الأعور، و سليمان بن صرد الخزاعي، و كلّاهما من ذوى الشرف والدين. بل كان من العاملين لبني أمیة من يخزه ضميره اذا بلغ العداء للحسين أشدّه، فيترك معسرك بنى أمیة ليلوذ بالمعسکر الذي كتب عليه الموت والبلاء. كما فعل الحر بن يزيد الرياحي في كربلاء وقد رأى القوم يهمنون بقتل الحسين ولا يقنعون بمحاصره. فسأل عمر بن سعد قائد الجيش: «أمقاتل أنت هذا الرجل؟». فلما قال «نعم» ترك الجيش الأموي وذهب يقترب من الحسين حتى داناه فقال له: «جعلت فداك يا ابن رسول الله. أنا صاحبك حبستك عن الرجوع و جمعت بك في هذا المكان، و ما ظنت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم، و والله لو علمت أنهم يتّهون بك إلى ما أرى ما ركبتك مثل الذي ركبتك، و انى تائب إلى الله مما صنعت، فهل ترى لي من توبة؟». فقبل الحسين توبته و جعل الرجل يقاتل من ساعتها حتى قتل، [صفحة ٧٥] و آخر كلمة على لسانه فاه بها: «السلام عليك يا أبا عبد الله!» فمجملاً ما يقال على التحقيق انه لم يكن في معسکر يزيد رجل يعينه على الحسين الا و هو طامع في مال، مستميت في طمعه استماتة من يهدى الحرمات و لا يبالى بشيء منها في سبيل الحطام. و لقد كان لمعاوية مشيرون من ذوى الرأى كعمر و بن العاص، و المغيرة ابن شعبة، و زياد بن أبيه، و أضرابهم من أولئك الدهاء الذين يسمّيهم التاريخ أنصار دول و بناء عروش.. و كان لهم من سمعة معاوية و ذرائعه شعار يدارون به المطامع و يتحللون من التأثير... لكن هولاء بادوا جميعاً في حياة معاوية، و لم يبق ليزيد مشير واحد من نسمتهم بأنصار الدول و بناء العروش، و انما بقيت له شرذمة على غراره أصدق ما توصف به أنها شرذمة جلادين، يقتلون من أمروا بقتله و يقبضون الأجر فرحين.. فكان أعوناً معاوية ساسة و ذوى مشورة.. و كان أعوناً يزيد جلادين و كلاب طراد في صيد كبير.. و كانوا في خلائقهم البدنية على المثال الذي يعهد في هذه الطغمة [صفحة ٧٦] من الناس، و نعني به مثل المسخاء المشوهين.. أولئك الذين تمتلىء صدورهم بالحقد على أبناء آدم و لا سيما من كان منهم على سوء الخلق و حسن الأحدوثة، فإذا بهم يفرغون حقدهم في عدائهم و إن لم ينتفعوا بأجر أو غنيمة، فإذا انتفعوا بالأجر و الغنيمة فذلك هو حقد الضراوة الذي لا تعرف له حدود.. و شر هولاء جميعاً هم شمر بن ذي الجوشن، و مسلم بن عقبة، و عبيد الله بن زياد. و يلحق بزمرتهم على مثال قريب من مثالمهم عمر ابن سعد بن أبي وقاص.. فشمر بن ذي الجوشن كان أبرص كريه المنظر قبيح الصورة، و كان يصطنع المذهب الخارجي ليجعله حجة يحارب بها علينا و أبناؤه، و لكنه لا يتخذ حجة ليحارب بها معاوية و أبناؤه.. كأنه ينخد الدین حجة للحقد، ثم ينسى الدين و الحقد في حضرة المال. و مسلم بن عقبة مخلوق مسمى الطبيعة في مسلاخ انسان.. و كان أعور أمغر ثائر عليه السلام ثلاثة أيام، و استعرض أهلها بالسيف جزراً كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم، و قتل أبناء المهاجرين [صفحة ٧٧] و الأنصار و ذرية أهل بدر، و أخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاء من الصحابة و التابعين على أنه عبد قن لأمير المؤمنين... او انطلق جنده في المدينة الى جوار قبر النبي يأخذون الأموال و يفسقون بالنساء، حتى بلغ القتل في تقدير الزهرى سبعمائة من وجوه الناس و عشرة آلاف من الموالي، ثم كتب الى يزيد يصف له ما فعل وصف الظافر المتهلل، فقال بعد كلام طويل: «فأدخلنا الخيل عليهم... فما صليت الظهر أصلح الله أمير المؤمنين الا في مسجدهم!... بعد القتل الذريع و الانتهاب العظيم.. و أوقعنا بهم السيوف و قتلنا من أشرف لنا منهم و اتبعنا مدبرهم و أجهزنا على جريتهم و انتهيناها ثلاثة كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره، و جعلت دور بنى الشهيد عثمان بن عفان في حرز و أمان، و الحمد لله الذي شفا صدرى من قتل أهل الخلاف القديم و النفاق العظيم، فطالما عتوا و قدّيما ما طغوا. أكتب هذا الى أمير المؤمنين و أنا في منزل سعيد بن العاص مدفناً مريضاً ما أراني الا لما بي.. فما كنت أبالغ متى مت

بعد يومي هذا...» و كل هذا الحقد المتأجج في هذه الطویة العفنة انما هو الحقد في طبائع المساخاء الشائهيـن... يوهم نفسه انه الحقد من ثار عثمان أو من خروج قوم على ملك يزيد..و كان عبـد الله بن زيـاد مـتهم النـسب في قـريـش، لأن أباـه زـيـاداـ كان [صفحـه ٧٨] مجـهـولـ الأـبـ فـكانـواـ يـسمـونـهـ زـيـادـ بنـ أـبيـهـ.. ثمـ الحـقـهـ مـعـاوـيـهـ بـأـبـيـ سـفـيـانـ لـأـنـ أـبـاـسـفـيـانـ ذـكـرـ بـعـدـ نـبـوـغـ زـيـادـ، انهـ كانـ قدـ سـكـرـ بـالـطـافـ لـلـيـلـهـ فالـتـمـسـ بـغـيـاـ فـجـاءـوـهـ بـجـارـيـهـ تـدـعـىـ سـمـيـهـ، فـقـالـ لـهـ بـعـدـ مـوـلـودـ زـيـادـ أـنـهـ حـمـلتـ بـهـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـهـ.. وـ كـانـ أـمـ عـبـدـ اللهـ جـارـيـهـ مـجـوسـيـهـ تـدـعـىـ مـرـجـانـهـ فـكـانـواـ يـعـيـرـونـهـ بـهـ وـ يـنـسـبـونـهـ إـلـيـهـ، وـ مـنـ عـوـارـضـ الـمـسـخـ فـيـهـ - وـ هـيـ عـوـارـضـ لـهـاـ فـيـ نـفـوسـ الـعـرـبـ دـخـلـهـ تـورـثـ الـضـغـنـ وـ الـمـهـانـهـ - اـنـهـ كـانـ أـلـكـنـ الـلـسـانـ لـاـ يـقـيمـ نـطـقـ الـحـرـوفـ الـعـرـبـيـهـ:ـ فـكـانـ اـذـاـ عـابـ الـحـرـورـيـ مـنـ الـخـوارـجـ، قـالـ:ـ «ـهـرـوـرـيـ»ـ فـيـضـحـكـ سـامـعـهـ، وـ أـرـادـ مـرـءـ أـنـ يـقـولـ أـشـهـرـواـ سـيـوـفـكـمـ، فـقـالـ اـفـتـحـوـاـ سـيـوـفـكـمـ...ـ فـهـجـاهـ يـزـيـدـ بـنـ مـفـرغـ قـائـلـاـ:ـ وـ يـوـمـ فـتـحـتـ سـيـفـكـ مـنـ بـعـدـ أـضـعـتـ وـ كـلـ أـمـرـكـ لـلـضـيـاعـ وـ لـمـ يـكـنـ أـهـوـنـ لـدـيـهـ مـنـ قـطـعـ الـأـيـدـيـ وـ الـأـرـجـلـ وـ الـأـمـرـ بـالـقـتـلـ فـيـ سـاعـةـ الـغـضـبـ لـشـيـهـ وـ لـغـيرـ شـيـهـ.ـ فـفـيـ ذـكـ يـقـولـ مـسـلـمـ بـنـ عـقـيلـ وـ هـوـ صـادـقـ مـؤـيدـ بـالـأـمـثـالـ وـ الـمـثـلـاتـ:ـ «ـوـ يـقـتـلـ النـفـسـ التـىـ حـرـمـ اللـهـ قـتـلـهـاـ عـلـىـ الـغـضـبـ وـ سـوـءـ الـظـنـ، وـ هـوـ يـلـهـوـ وـ يـلـعـبـ كـانـ لـمـ يـصـنـعـ شـيـئـاـ»ـ.ـ وـ قـدـ كـانـ هـذـهـ الـضـرـاوـرـ عـلـىـ أـعـنـفـهـاـ وـ أـسـوـئـهـاـ يـوـمـ تـصـدـىـ عـبـدـ اللهـ اـبـنـ زـيـادـ لـمـنـازـلـ الـحـسـينـ،ـ لـأـنـهـ كـانـ يـوـمـذـىـ فـيـ شـرـةـ الـشـابـ لـمـ يـتـجاـوزـ [ـ صـفحـهـ ٧٩ـ]ـ الثـامـنـةـ وـ الـعـشـرـينـ،ـ وـ كـانـ يـزـيـدـ يـبغـضـ أـبـاهـ لـأـنـهـ كـانـ قدـ نـصـحـ لـمـعـاوـيـهـ بـالـتـمـهـلـ فـيـ الدـعـوـةـ إـلـيـ بـيـعـهـ يـزـيـدـ،ـ فـكـانـ عـبـدـ اللهـ مـنـ ثـمـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ دـفـعـ الشـبـهـ وـ الغـلوـ فـيـ اـثـبـاتـ الـوـلـاءـ لـلـعـهـدـ الـجـدـيـدـ..ـ وـ الـذـينـ لـمـ يـمـسـخـوـ فـيـ جـبـلـهـمـ وـ تـكـوـيـنـهـمـ هـذـهـ الـمـسـخـ مـنـ أـعـوـانـ يـزـيـدـ اـبـنـ مـعـاوـيـهـ،ـ كـانـ الطـمـعـ فـيـ الـمـنـاصـبـ وـ الـأـمـوـالـ وـ الـلـذـاتـ قـدـ بـلـغـ ماـ يـبـلـغـهـ الـمـسـخـ مـنـ تـحـوـيلـ الـطـبـائـعـ وـ طـمـسـ الـبـصـائـرـ وـ مـغـالـطـةـ الـنـفـوسـ فـيـ الـحـقـائقـ...ـ وـ مـنـ هـذـاـ الـقـبـيلـ،ـ عـمـرـ بـنـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاـصـ الـذـيـ أـطـاعـ عـبـدـ اللهـ اـبـنـ زـيـادـ فـيـ وـقـعـةـ كـرـبـلـاءـ وـ لـمـ يـعـدـ بـتـلـكـ الـوـقـعـةـ عـنـ نـهـاـيـهـاـ الـمـسـئـوـمـةـ،ـ وـ قـدـ كـانـ الـعـدـلـ بـهـاـ عـنـ تـلـكـ النـهـاـيـهـ فـيـ يـدـيـهـ،ـ فـقـدـ أـعـزـيـ عمرـ بـنـ سـعـدـ بـوـلـاـيـهـ الرـىـ،ـ وـ هـىـ درـةـ الـتـاجـ فـيـ مـلـكـ الـأـكـاسـرـ الـأـقـدـمـينـ.ـ وـ كـانـ يـتـلـعـلـ يـاـهـاـ مـنـذـ فـتـحـهـاـ أـبـوهـ الـقـائـدـ الـنـبـيلـ الـعـزـوفـ،ـ وـ يـنـسـبـ إـلـيـهـ أـنـهـ قـالـ وـ هـوـ يـرـاـوـدـ نـفـسـهـ عـلـىـ مـقـاتـلـ الـحـسـينـ:ـ فـوـالـلـهـ مـاـ أـدـرـىـ وـ اـنـىـ لـحـائـرـ أـفـكـرـ فـيـ أـمـرـىـ عـلـىـ خـطـرـيـنـ [ـ صـفحـهـ ٨٠ـ]ـ أـتـرـكـ مـلـكـ الـرـىـ مـنـيـ مـنـيـ أـمـ أـرـجـعـ مـأـثـوـمـاـ بـقـتـلـ حـسـينـ وـ فـيـ قـتـلـهـ النـارـ التـىـ لـيـسـ دـوـنـهـ حـجـابـ،ـ وـ مـلـكـ الـرـىـ قـرـهـ عـيـنـيـ فـاـنـ لـمـ تـكـنـ هـذـهـ الـأـيـيـاتـ مـنـ لـسـانـهـ فـهـىـ وـ لـاـ شـكـ مـنـ لـسـانـ حـالـهـ،ـ لـأـنـهـ تـسـجـلـ الـوـاقـعـ الـذـىـ لـاـ شـبـهـ فـيـهـ...ـ وـ مـنـ الـوـاقـعـ لـاـ شـبـهـ فـيـهـ أـيـضـاـ،ـ أـنـ عـمـرـ بـنـ سـعـدـ هـذـهـ لـمـ يـخـلـ مـنـ غـلـظـةـ فـيـ الـطـبـعـ عـلـىـ غـيـرـ ضـرـورـةـ وـ لـاـ اـسـفـازـ،ـ فـهـوـ الـذـىـ سـاقـ نـسـاءـ الـحـسـينـ بـعـدـ عـلـىـ طـرـيـقـ جـثـ القـتـلـىـ التـىـ لـمـ تـزـلـ مـطـرـوـحـةـ بـالـعـرـاءـ...ـ فـصـحـنـ وـ قـدـ لـحـنـهـ عـلـىـ الـطـرـيـقـ صـيـحـةـ أـسـالـتـ الدـمـعـ مـنـ عـيـونـ رـجـالـهـ،ـ وـ هـمـ مـمـنـ قـاتـلـ الـحـسـينـ وـ ذـوـيـهـ...ـ هـؤـلـاءـ وـ أـمـثالـهـمـ لـاـ يـسـمـونـ سـاسـةـ مـلـكـ وـ لـاـ تـسـمـىـ مـهـتـهـمـ تـدـعـيمـ سـلـطـانـ،ـ وـ لـكـنـهـمـ يـسـمـونـ جـلـادـينـ مـتـنـمـرـينـ يـطـيـعـونـ مـاـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـنـ غـلـظـةـ وـ حـقـدـ،ـ وـ يـطـيـعـونـ مـاـ فـيـ أـيـديـهـمـ مـنـ أـمـوـالـ وـ عـوـدـ...ـ وـ تـسـمـىـ مـهـتـهـمـ مـذـبـحـةـ طـائـشـةـ لـاـ يـبـالـيـ مـنـ يـسـفـكـ فـيـهـ الدـمـاءـ أـىـ غـرـضـ يـصـيـبـ...ـ وـ مـنـذـ قـضـىـ عـلـىـ يـزـيـدـ بـنـ مـعـاوـيـهـ أـنـ يـكـونـ هـؤـلـاءـ وـ أـمـثالـهـمـ أـعـوـانـاـ لـهـ [ـ صـفحـهـ ٨١ـ]ـ مـلـكـهـ،ـ قـضـىـ عـلـيـهـ مـنـ سـاعـتـهـاـ أـنـ يـكـونـ عـلـاجـهـ لـمـسـائـلـ الـحـسـينـ عـلـاجـ الـجـلـادـينـ الـذـينـ لـاـ يـعـرـفـونـ غـيـرـ سـفـكـ الدـمـاءـ وـ الـذـينـ يـسـفـكـونـ كـلـ دـمـ أـجـرـواـ عـلـيـهـ...ـ وـ هـكـذـاـ كـانـ يـزـيـدـ أـعـوـانـ اـذـاـ بـلـغـ أـحـدـهـمـ حـدـهـ فـيـ مـعـونـتـهـ فـهـوـ جـلـادـ مـبـذـولـ السـيـفـ وـ السـوـطـ فـيـ سـيـلـ الـمـالـ...ـ وـ كـانـ الـحـسـينـ أـعـوـانـ اـذـاـ بـلـغـ أـحـدـهـمـ حـدـهـ فـيـ مـعـونـتـهـ فـهـوـ شـهـيدـ يـبـذـلـ الدـنـيـاـ كـلـهاـ فـيـ سـيـلـ الـرـوـحـ...ـ وـ هـىـ اـذـنـ حـرـبـ جـلـادـينـ وـ شـهـداءـ...ـ [ـ صـفحـهـ ٨٣ـ]

خروج الحسين

الحسين في مكة

عمل يزيد بوصية أبيه، فلم يكن له هم منذ قيامه على الملك الا أن يظرف بيضة الحسين و عبد الله بن الزبير في مقدمة النفر الذين أنكروا العهد له في حياة معاوية... و كان الوليد بن عقبة بن أبي سفيان والى معاوية يومئذ على المدينة. فلما جاءه كتاب يزيد بنعى أبيه، و أن

يأخذ أولئك النفر بالبيعة «أخذنا شديدا ليس فيه رخصة» دعا اليه مروان بن الحكم، فأشار بمشورته التي جمعت بين الاخلاص و سوء النية... و فحواها أن يبعث الى الحسين و ابن الزبير، فان بايضا و الا ضرب عنقيهما! و حدث بين الحسين و الوليد ما تقدمت الاشارة اليه في محضر مروان، اذ عاد الحسين الى بيته... و قد عول على ترك المدينة الى مكة كما تركها ابن الزبير من قبله... فخرج منها لليتين بقيتا من شهر رجب سنة ستين للهجرة، و معه جل أهل بيته و أخوته و بنو أخيه، و لزم في مسيره الى مكة الطريق الأعظم فلم يتبعه كما فعل ابن الزبير مخافة الطلب من ورائه [صفحة ٨٤] فصحت في الرجلين فراسة معاویة في هذا الأمر الصغير، كما صحت في غيره من كبار الأمور... و انصرف الناس في مكة الى الحسين عن كل مطالب بالخلافة غيره، و منهم ابن الزبير. فكان ابن الزبير يطوف بالکعبه كل يوم و يتعدد عليه في صباحه و مساءه، يتعرف رأيه و ما نمى اليه من آراء الناس في الحجاز، و العراق، وسائر الأقطار الإسلامية. فلبث الحسين في مكة أربعة أشهر على هذه الحال، يتلقى بين آونة و آونة دعوات المسلمين إلى الظهور و طلب البيعة، و لا سيما أهل الكوفة و ما جاورها... فقد كتبوا اليه يقولون ان هناك مائة ألف ينصرونك، و ألحوا في الكتابة يستعجلونه الظهور. و تردد الحسين طوال هذه الأشهر فيما يفعل بهذه الدعوات المتتابعتا، فبدأ له أن يتمهل حتى يتبين جيله القوم و يستطيع طلعهم من قريب... و آثر أن يرسل ابن عممه مسلم بن عقيل بن أبي طالب يمهد له طريق البيعة ان رأى فيها محلاماً لتمهيد، و كتب إلى رؤساء أهل الكوفة قبل ذلك كتاباً يقول فيه: «أما بعد، فقد أتنى كتبكم و فهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم، و قد بعثت اليكم أخي و ابن عمي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، و أمرته أن يكتب إلى بجالكم و أمركم و رأيكم...» [صفحة ٨٥] فان كتب إلى أنه قد أجمع رأى ملئكم و ذوى الفضل و الحجى منكم على مثل ما قدمت على به رسالكم و قرأت في كتابكم، أقدم عليكم و شيئاً كان شاء الله. فاعمرى ما الإمام الا العامل بالكتاب، و الآخذ بالقسط، و الدائن بالحق، و الحابس نفسه على ذات الله، و السلام». ثم بلغ الحسين أن مسلماً قد نزل الكوفة، فاجتمع على بيته للحسين اثنا عشر ألفاً، و قيل ثمانية عشر ألفاً، فرأى أن يدار إليه قبل أن يتفرق هذا الشمل و يطول عليهم عهد الانتظار والمراجعة، فظهر عزمه هذا لمسيره من خاصته و أهل بيته فاختلفوا في مشورتهم عليه بين موافق و مبطن و ناصح بالمسير إلى جهة غير جهة العراق. كان أخوه محمد بن الحنifee يرى - و هو بعد في المدينة - أن يبعث رسلاً إلى الأنصار و يدعوهم إلى مبايعته قبل قتال يزيد فان أجمعوا على بيته فذاك، و ان اجتمع رأيهم على غيره «لم ينقض الله بذلك دينه ولا عقله»... و كان عبدالله بن الزبير يقول له: «ان شئت أن تقيم بالحجاز آزرناك و نصحنا لك و بايعناك، و ان لم تشاً البيعة بالحجاز توليني أنا البيعة فتطاع و لا تعصى». و يزعم من المؤرخين ان ابن الزبير كان متهم النصيحة للحسين... [صفحة ٨٦] و من هؤلاء المؤرخين أبوالفرج الأصفهاني. قال: «ان عبدالله بن الزبير لم يكن شئ أثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز... و لا أحب إليه من خروجه إلى العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز... لأن ذلك لا يتم له إلا بعد خروج الحسين، فلقيه و قال له: «على أى شئ عزمت يا أبا عبدالله؟» فأخبره برأيه في اتيان الكوفة و أعلمته بما كتب به مسلم بن عقيل، فقال الزبير: «فما يحبسك؟... فو الله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلومت في شئ». و لعل أنسح الناس له في هذه المسألة كان عبدالله بن عباس لما بينهما من القرابة و ما عرف به ابن عباس من الدهاء... سأله:- ان الناس أرجعوا أنك سائر إلى العراق، فما أنت صانع؟... قال:- قد أجمعت السير في أحد يومي هذين. فأعاده ابن عباس بالله من ذلك، و قال له:- انى أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك. ام أهل العراق قوم غدر. أقم بهذا فانك سيد أهل الحجاز، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فان أبى الا أن تخرج [صفحة ٨٧] فسر الى اليمن، فان بها حصونا و شعاباً و لأريك بها شيعة. فقال له الحسين:- يا ابن عم!... انى أعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمت و أجمعت على المسير. قال ابن عباس:- ان كنت لابد فاعلا، فلا تخرج أحداً من ولدك و لا حرمك و لا نسائك، فخليق أن تقتل و هم ينظرون إليك كما قتل ابن عفان.

و خرج في الثامن من ذي الحجة لا يتضرر العيد بمكثه، لأن أخبار اليعنة بالковفة حفظت إلى التعجيل بالسفر قبل فوات الأول... و كان مسلم بن عقيل قد نزل بالkovفة، فأقبل عليه الناس ألوفاً ألوفاً يبادرون الحسين على يديه... و بلغوا ثمانية عشر ألفاً في تقدير ابن كثير و ثلاثين ألفاً في تقدير ابن قتيبة. و هال الأمر النعمان بن بشير - و إلى الكوفة - فحار فيما يصنع بمسلم و أتباعه و هم يزدادون يوماً بعد يوم، فتصعد المنبر و خطب الناس معنا [صفحة ٨٨] أنه لا يقاتل إلا من قاتله و لا يثبت إلا على من وثب عليه... و تسابق أنصار بنى أمية إلى يزيد ينقلون إليه ما يجري بالkovفة، فأشار عليه سرجون الرومي مولى أبيه أن يعزل النعمان و يولى الكوفة عبيد الله بن زياد، مضمومة إلى البصرة التي كان يتولاها في ذلك الحين. و قدم عبيد الله إلى الكوفة فكان أول ما عمل بها أن جمع إليه عرفاء المدينة - أي مشايخ أحيائها - فأمرهم أن يكتبوا له أسماء الغرباء و من في أحيائهم من «طلبة أمير المؤمنين و الحرورية و أهل الريب»، و أنذرهم «أيما عريف و جد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إليه، صلب على باب داره، و ألغيت تلك العرافة من العطاء». و التمس وجهو المدينة من شيعة الحسين يتراضاه و يستخرج خفاياهم. فسأل عنهم تخلف عن لقاءه و على رأسهم هانيء بن عروة، فقيل له أنه مريض لا يريح داره... و كان يتعذر بالمرض تجنبه للقاء و السلام عليه. فذهب عبيد الله إليه يعوده و يتلطف إليه، و جاء في بعض الروايات أنه قد أشير على مسلم بن عقيل بقتله و هو في بيت هانيء، فأبى أن يغتاله و هو آمن في بيت مريض يعوده... [صفحة ٨٩] و قال ابن كثير ما فحواه انهم أشاروا على مسلم بن عقيل بقتله و هو في دار شريك بن الأعور، و قد علم شريك أن عبيد الله سيعوده... فبعث إلى هانيء بن عروة يقول له: «ابعث مسلم بن عقيل يكون في داري ليقتل عبيد الله اذا جاء يعودني»... فتحين مسلم عن قتله، و سأله شريك: «ما منعك أن تقتله؟» قال: «بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان اليمان قيد الفتاك، لا يفتاك مؤمن)»، و كرهت أن أقتله في بيتك»... قال شريك: «أما لو قتله لجلست في الثغر لا يستعدى به أحد، و لكفيتك أمر البصرة، و لكنك تقتله ظالماً فاجراً». ثم مات شريك بعد ثلاثة أيام... و تضطرب الأقاويل في وقائع هذه الأيام للاحقها و كثرتها و كثرة رواتها و العاملين فيها... و لكن الشائع من تلك الأقاويل ينبئنا عن عنت شديد لقيه عبيد الله بن زياد في مغالبة مسلم و شيعته، و أنه هرب مرة من المسجد لأن الناس بصرروا ب المسلم مقبلاً فتصايحوه بـ«عبيد الله بن زياد في زمرة عدوه»... و اجتمع إلى مسلم أربعة آلاف من حزبه، فأمر من ينادي في الناس بشعار الشيعة: «يا منصور!... أمت». ثم تقدم إلى قصر الامارة في تعبئة كتبة الجيش. و لم يكن في القصر إلا ثلاثة رجال من الشرط وعشرون من أهل [صفحة ٩٠] الكوفة. فخامر اليأس عبيد الله و ظن أنه هالك قبل أن يدركه الغوث من مولاه. و لكنه تحيل بما في وسعة المستمية من حيلة على أيه حال أجدى و أسلم له من التسليم، فأنفذ أنصاره إلى كل صوب في المدينة يعدون و يتوعدون... و انطلق هؤلاء الأنصار يرجفون بقرب وصول المدد الراهن من يزيد، و ينذرون الناس بقطع العطاء وأخذ البريء بالمدنب و الغائب بالشاهد و يبذلون المال لمن يرثى بالمال، و الوعد لمن يقنع بال وعد إلى حين...

مقتل مسلم بن عقيل

و توسلوا بكل وسيلة تبلغ بهم ما أرادوا من تخذيل الناس عن مسلم ابن عقيل حتى كانوا يرسلون الزوجة وراء زوجها و الأم وراء ولدها و الآخر وراء أخيه، فيتعلقون بهم حتى يقفلوا إلى دورهم أو يدخلوا بهم في زمرة عبيد الله... فلما غربت شمس ذلك اليوم، نظر مسلم حوله فإذا هو في خمسمئة من أولئك الآلاف الأربع... ثم صلى المغرب فلم يكن وراءه في الصلاة غير ثلاثين سللاً من حوله تحت الظلام، و بقى وحيداً في المسجد لا يجد معه من يدخله على منزل يأوي إليه. و تسمع عبيد الله من القصر حين سكت الجبلة، و سأله أصحابه أن يشرفوه ليروا من بقي من تلك الجموع... فلم يروا أحداً ولم يسمعوا [صفحة ٩١] صوتاً. فخيل إليهم أنها مكيدة حرب و أن القوم رابضون تحت الظلال، فأدلوا بالقناديل و المشاعل حتى اطمأن إلى خلو المسجد و تفرق مسلم و أتباعه، فدعوا إلى الصلاة الجامعية و أمر المنادين في أرجاء الكوفة: «ألا... برئت الذمة من رجل من الشرطة و العرفاء و المناكب - رؤوس العرفاء - و المقاتلة، صلى العشاء إلا في المسجد». و أقام الحراس خلفه و هو يصلى بمن أجابوه و قد امتلأ بهم المسجد، فخطبهم بعد الفراج من

صلاته قائلاً: «برئت ذمة الله من رجل وجدنا ابن عقيل في داره». و صاح في رئيس شرطته: «يا حصين بن نمير!.. ثكلتك أمك ان ضاع بباب سكة من سكك الكوفة و خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث مراصد على أفواه السكك... وأصبح غداً فاستبرئ الدور و جس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل...» و ما هي الا سويعات حتى جيء بابن عقيل و قد دافع الشرط عن نفسه ما استطاع. و وصل الى القصر جريحاً مجهاً ظمآن فأهوى الى قلة عند الباب فيها ماء بارد، فقال له أحد أصحاب عبيد الله: «أتراءها ما أبредها! و الله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الجحيم في نار جهنم!». [صفحة ٩٢] و أنكر عمر بن حرث هذه الفظاعة من الرجل، فجاءه بقلة عليها منديل و معها قدر فصب منها في القدح و أدناه منه، فإذا هو ينفث الدم في القدح كلما رفعه للشرب منه حتى امتلأ. و سقطت فيه ثيثاره، فحمد الله و قال: «لو كان لي من الرزق المقسم لشربته». و أدخلوه على عبيد الله فنظر الى جسائه و فيهم عمر بن سعد بن أبي وقار، فناشد القرابة ليسمعن منه وصيہ ينفذها بعد موته. فأبى أن يصغى اليه!.. ثم اذن له عبيد الله فقام معه فقال مسلم: «إن على بالكوفة دينا استدنته سبعمائة درهم، فبع سيفي و درعي فاقضها عنى، و أبعث إلى الحسين من يرده، فاني قد كتبت اليه أعلمه أن الناس معه و لا أراه الا مقبلاً»... فعاد عمر الى عبيد الله فأفسح له السر الذي ناجاه به و أوصاه أن يكتمه. ثم دعا عبيد الله بالحرسى الذى قاومه مسلم و ضربه على رأسه و اسمه بكير بن حمران - فأسلم مسلماً اليه و قال:- لتكن أنت الذى تضرب عنقه. و صعدوا به الى أعلى القصر فأشرفوا به على الجموع المحبيطة به و ضربوا عنقه، فسقط رأسه الى الرحمة و أقيمت جشه الى الناس. ثم أرسل برأسه الى يزيد مع رؤوس سرابة في المدينة كان مسلم يأوي اليهم أول مقدمه [صفحة ٩٣] اليها، و منهم هانىء بن عروة الذي تقدمت الاشارة اليه.

طلائع الفشل

كان مقتل مسلم بن عقيل في التاسع من ذي الحجة ليلة العيد... و كان خروج الحسين من مكانه قبل ذلك بيوم واحد، فلم يسمع بمقتله الا و هو في آخر الطريق... و لما شارف العراق أحبت أن يستوثق مرة أخرى قبل دخوله، فكتب الى أهل الكوفة كتاباً مع قيس بن سهر الصيداوي يخبرهم بمقدمه و يحضهم على العذر و التساند، فوافى قيس القادسية و قد رصد فيها شرط عبيد الله فاعتقلوه و أشحصوه اليه... فأمره عبيد الله أن يصعد القصر فيسب «الكذاب بن الكذاب الحسين بن على» و ينهى الناس أن يطعوه. فصعد قيس و قال: «أيها الناس... إن هذا الحسين بن على خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، و أنا رسوله إليكم! و قد فارقته بالحاجز فأجيده، و العنوا عبيد الله بن زياد و أباه...» فما كان منهم الا- أن قذفوا به من حلق، فمات... و حدث مثل هذا مع عبدالله بن يقطر... فأبى أن يلعن الحسين، و لعن عبيد الله بن زياد، فألقوا به من شرفات القصر الى الأرض فاندك عظامه و لم يمت، فذبحوه... [صفحة ٩٤] و جعل الحسين كلما سأله قادماً من العراق أبناء بمقتل رسول من دعاته، فأشار عليه بعض صحبه بالرجوع، وقال له غيرهم: «ما أنت مثل مسلم بن عقيل، و لو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع...» و ثب بنو عقيل فأقسموا لا يبرحون حتى يدركوا ثأرهم أو يذوقوا ما ذاق مسلم... و لم ير الحسين بعد ذلك أن يصحب معه أحداً إلا على بصيرة من أمره و ما هو لاقيه ان تقدم و لم ينصرف لشأنه... فخطب الرهط الذين صحبوه و قال لهم: «و قد خذلنا شيعتنا... فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف، ليس عليهم منا ذمام...» فتفرقوا الا أهل بيته و قليلاً من تبعوه في الطريق...

الحسين والحر بن يزيد

و التقى الركب عند جبل ذي حسم بطلائع جيش عبيد الله يقودها الحر بن يزيد التميمي اليربوعي في ألف فارس، أمروا بأن لا يدعوا الحسين حتى يقدموا به على عبيد الله في الكوفة. فأمر الحسين مؤذنه بالأذان لصلاة الظهر، و خطب أصحابه و أصحاب الحر بن يزيد فقال: [صفحة ٩٥] - أيها الناس اني لم آتكم حتى أتنى كتبكم و رسالكم أن أقدم علينا فليس لنا امام، لعل الله يجمعنا بك على

الهدى و الحق فقد جئتم...فإن تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم و مواثيقكم أقدم مصركم، و إن لم تفعلوا أو كتم لقدومني كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه...فلم يجبه أحد...فقال للمؤذن:- أقم الصلاة!و سأل الحر:- أتريد أن تصلى أنت بأصحابك و أصلى ب أصحابي؟ فقال الحر:- بل نصلى جميعا بصلاتك...ثم تيسير الحسين الى طريق العذيب، فبلغها و فرسان عبيد الله يلزمونه و يصررون على أخذه الى أميرهم و صده عن وجهه حيثما اتجه غير وجهتهم، فأقبل عليهم يعظهم و هم يصغون اليه فقال:«أيها الناس!... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى [صفحة ٩٦] سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالآثم و العدوان، فلم يغير ما عليه بفعل و لا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا و أن هولاء قد لزموا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و استأثروا بلغى، و أحلوا حرام الله و حرموا حلاله، و أنا أحق من غيري...»قد أتنى كتبكم و رسالكم بيعتكم و أنكم لا تسلموننى ولا تخذلونى، فإن بقيتكم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، و أنا الحسين بن على و ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، نفسي مع أنفسكم و أهلى من أهلكم، فلكم في أسوة. و إن لم تفعلوا و نقضتم عهدي، و خلعتم بيعتى، فعلمري ما هي لكم بنكير، و المغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطاتم، و نصييكم ضياعتم... و من نكث فانما ينكث على نفسه و سيفنى الله عنكم و السلام». فأنصت الحر بن يزيد و أصحابه ثم توجه اليه يحذرها العاقبة و ينبئه: «لئن قاتلت لقتلن!» فصاح به الحسين:- أبالموت تخوفنى!... ما أدرى ما أقول لك... و لكنى أقول كما قال [صفحة ٩٧] أخو الأوس لابن عمر و هو يريد نصرة رسول الله، فخوفه ابن عمر و أنذره أنه لمقتول فأنسد: سأمضي و ما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما و آسى الرجال الصالحين بنفسه و خالف مثبورا و فارق مجرما فان عشت لم أندم، و ان مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش و ترغماثم سار الركبان ينظر بعضهما الى بعض كلما مال الحسين نحو البادية أسرع الحر بن يزيد فرده نحو الكوفة. حتى نزلا ببنيوي، فإذا راكب مقبل عليه بالسلاح، يحبى الحر و لا يحيى الحسين، ثم أسلم الحر كتابا من عبيد الله يقول فيه: «أما بعد فججع بالحسين حتى يبلغك كتابي و يقدم عليك رسولى، فلا تزله الا بالعراء فى غير حصن و على غير ماء... و قد أمرت رسولى أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتينى بانفاذك أمرى و السلام». فلما بدا من الحر بن يزيد أنه يريد أن ينفذ أمر عبيد الله بن زياد [صفحة ٩٨] و يخشى رقيه الذى أمر لا يفارق حتى ينفذ أمره، قال أحد أصحاب الحسين - زهير بن القين:- انه لا يكون الله بعد ما ترون الا ما هو أشد منه. يا ابن رسول الله!.. إن قتال هولاء أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم. فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به. فهلم نناجز هولاء. فأعرض الحسين عن مشورته و قال:- انى أكره أن أبدأهم بقتال.

عمر بن سعد

و كان الديلم قد ثاروا على يزيد بن معاوية و استولوا على دستبي بأرض همدان، فجمع لهم عبيد الله بن زياد جيشا عدته أربعة آلاف فارس بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص الذى يذكر الديلم اسم أبيه - سعد - فاتح بلادهم، و قد وعد بولاية الرى بعد قمع الثورة الديلمية، فلما قدم الحسين الى العراق قال عبيد الله لعمر:- نفرغ من الحسين ثم تسير الى عملك. فاستغافاه، و علم عبيد الله موطن هواه فقال له:- نعم نعطيك على أن ترد علينا عهدا.. فاستمهله حتى يراجع نصائحه.. فتصح له ابن أخيه ابن المغيرة [صفحة ٩٩] ابن شعبه - و هو من أكبر أئوان معاوية - ألا يقبل مقاتلة الحسين، و قال له:- و الله لأن تخرج من دنياك و مالك و سلطان الأرض لو كان لك، خير من أن تلقى الله بدم الحسين. و بات ليته يقلب وجوه رأيه، حتى اذا أصبح ذهب الى ابن زياد، فاقتصر عليه أن يبعث الى الحسين من أشراف الكوفة من ليس يعني في الحرب عنهم... فأبى ابن زياد الا أن يسير الى الحسين أو يتزل عن ولاية الرى.. فسار على مضض و جنوده متشاقلون متهرجون، الا زعناف المرتزقة الذين ليس لهم من خلاق. و كان جنود الجيش يتسللون منه و يتخلدون بالكوفة... فندب عبيد الله رجالا من أئوانه - هو سعد بن عبد الرحمن المنقري - ليطوف بها و يأتيه بمن تخلف عن المسير لقاتل الحسين، و ضرب عنق رجل جيء به و قيل انه من المختلفين، فأسرع بقيتهم الى المسير. و قد أدرك الجيش الحسين و هو بكريلاء على نحو من

خمسة وعشرين ميلاً إلى الشمال الغربي من الكوفة. نزل بها في الثاني من المحرم سنة احدى وستين. [صفحة ١٠٠] و خلا الجو في الكوفة لرجلين اثنين يسابق كلا هما صاحبه في اللؤم و سوء الطويف، و ينفردان بتصريف الأمر في قضية الحسين دون مراجعة من ذي سلطان.. و هما عبيد الله بن زياد، و شمر بن ذي الجوشن. عبيد الله المعموز النسب الذي لا يشغله شيء، كما يشغله التشفى لنسبة المعموز من رجل هو بلا مراء أعرق العرب نسباً في الجاهلية والاسلام.. فليس أشهى إليه من فرضة ينزل ذلك الرجل على حكمه، و يشعره فيها بذله و رغمه..

شمر بن ذي الجوشن

و شمر بن ذي الجوشن الأبرص الكريه الذي يمضه من الحسين ما يمض كل ثيم مشنوه من كل كريم محظوظ و سيم. و كان كلاهما يفهم لؤم صاحبه و يعطيه فيه حقه و عذرها، فهما في هذه الخلطة متناصحان متفاهمان... او لم يكن أيسر من حل قضية الحسين على وجه يرضى يزيد و يمهد له الولاء في قلوب المسلمين ولو إلى حين... لو لا ذلك الصفع الممترج بالخليفة الذي هو كسر الخمور لا موضع معه لرأى مصيبة، و لا لتفكير في عاقبة بعيدة أو قريبة... فالحسين في أيديهم ليس أيسر عليهم من اعتقاله و ابقاءه بأعينهم في مكان ينال فيه الكرامة و لا يتحفز لثورة. [صفحة ١٠١] لكنهما لم يكفرا في أيسر شيء و لا أدنع شيء للدولة التي يخدمانها.. و إنما فكرا في النسب المعموز و الصورة الممسوخة، فلم يكن لهما من هم غير ارغام الحسين و اشهاد الدنيا كلها على ارغامه. تلقى ابن زياد من عمر بن سعد كتاباً يقول فيه أن الحسين «أعطانى أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره إلى أى ثغر من التغور شيئاً، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده». و الذي نراه نحن من مراجعة العوادث والأسانيد أن الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه، و لكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده في يده... لأنه لو قبل ذلك لباع في مكانه و استطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلى وجهته، و لأن أصحاب الحسين في خروجه إلى العراق قد نفوا ما جاء في ذلك الكتاب و منهم عقبة بن سمعان حيث كان يقول: «صاحب الحسين من المدينة إلى مكة و من مكة إلى العراق، و لم أفارقها حتى قتل و سمعت جميع مخاطباته إلى يوم قتيله... فوالله ما أعطاهم ما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيروه إلى ثغر من التغور، و لكنه قال: «دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس». و لعمل عمر بن سعد قد تجوز في نقل كلام الحسين عمداً ليذنو له [صفحة ١٠٢] في حمله إلى يزيد فيلقى عن كاهله مقاتلته و ما تجر إليه من سوء القالة و وخز الضمير، أو لعل الأعون الأمويين قد أشعروا عن الحسين اعتزامه للمبايعة ليلزموا بالبيعة أصحابه من بعده، و يسقطوا حجتهم في مناهضة الدولة الأموية.. و أيا كانت الحقيقة من هذه الدعوى فهي تكبر مائمة عبيد الله و شمر و لا تنقص منها. و لقد كانوا على العهد بمثليهما... كلاهما كفيل أن يحول بين صاحبه و بين خالجه من الضرر تخاصمه أو تغالب اللؤم الذي فطر عليه، فلا يصدر منهما إلا ما يوائم ثيمتين لا يتفقان على خير... و كأنما جنح عبيد الله إلى شيء من الهوادة حين جاءه كتاب عمر ابن سعد، فابتدره شمر ينهاه و يجنح إلى الشدة و الاعتساف، فقال له: - أتقبل هذا منه و قد نزل بأرضك و إلى جنبك! و الله لئن رحل من بلادك و لم يضع يده في يدك ليكون أولى بالقوة و العزة و لتكونن أولى بالضعف و العجز.. فلا تعطه هذه المنزلة، و لكن لينزل على حكمك هو و أصحابه، فإن عاقبت كنت ولـي العقوبة، و ان عفوت كان ذلك لك. ثم أراد أن يوقع بعمر و يتهمه عند عبيد الله ليخلفه في القيادة ثم يخلفه في الولاية، فذكر عبيد الله أن الحسين و عمر يتحددان عامـة الليل بين المعسكرين... فعدل عبيد الله إلى رأي شمر و أنفذـه بأمر منه أن يضرب عنق عمر [صفحة ١٠٣] ان هو تردد في اكرهـ الحسين على المسير إلى الكوفة أو مقاتلته حتى يقتل. و كتب إلى عمر يقول له: «أما بعد.. فأنا لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه و لاـ لتنميـه السلامـة و البقاءـ و لاـ لتطاولـه و لاـ لتعتذرـ عنه و لاـ لتقعدـ له عنـ شافعاـ.. انظرـ فـانـ نـزـلـ الحـسـينـ وـ أـصـحـابـهـ وـ اـسـتـسـلـمـواـ فـابـعـتـ بـهـمـ إـلـىـ مـسـلـمـاـ، وـ انـ أـبـواـ فـازـحـفـ إـلـيـهـمـ حـتـىـ تـقـتـلـهـمـ وـ تـمـثـلـ بـهـمـ، فـانـهـمـ لـذـكـرـ مـسـتـحـقـونـ فـانـ قـتـلـ

الحسينـ فـأـوـطـيـ إـلـيـهـ خـيـلـ صـدـرـهـ وـ ظـهـرـهـ فـانـهـ عـاقـ مشـاقـ قـاطـعـ ظـلـومـ.. فـانـ أـنـتـ مـضـيـتـ لـأـمـرـنـاـ جـزـيـناـكـ جـزـاءـ السـامـعـ المـطـيعـ، وـ انـ أـنـتـ

أبيت فاعترل جندنا و خل بين شمر بن ذي الجوشن و بين العسكر و السلام». و ختمت مأساة كربلاء كلها بعد أيام معدودات..و لكنها أيام بقيت لها جزيرة لم يحمدها طالب منفعة و لا طالب مروءة، و مضت مئات السنين و هي لا تمحو آثار تلك الأيام في تاريخ الشرق و الاسلام... [صفحة ١٠٥]

هل أصاب

خطأ الشهداء

خروج الحسين من مكة الى العراق حرفة لا يسهل الحكم عليها بمقاييس الحوادث اليومية، لأنها حرفة من أندر حركات التاريخ في باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية... لا- تكرر كل يوم ولا يقوم بها كل رجل ولا يأتي الصواب فيها - ان أصابت - من نحو واحد يحصر القول فيه، ولا يأتي الخطأ فيها - ان أخطأ - من سبب واحد يمتنع الاختلاف عليه. وقد يكون العرف فيها بين أصوب الصواب و أخطأ الخطأ فرقاً صغيراً من فعل المصادفة و التوفيق، فهو خليق أن يذهب إلى النقضين. هي حرفة لا يأتي بها إلا رجال خلقوا الأمثالها فلا- تخطر لغيرهم على بال، لأنها تعلو على حكم الواقع القريب الذي يتواه في مقاصده سالك الطريق اللاحلب و الدرب المطروق.. هي حرفة فذة يقدم عليها رجال أفتاد، من اللغو أن ندينهم بما يعمله رجال من غير هذا المعدن و على غير هذه الورثة.. لأنهم يحسون [صفحة ١٠٦] و يفهمون و يطلبون غير الذي يحسه و يفهمه و يطلب أولئك الرجال.. هي ليست ضربة مغامر من مغامري السياسة، و لا صفقة مساوم من مساومي التجارة، و لا وسيلة متسلل ينزل على حكم الدنيا أو تنزل الدنيا على حكمه، و لكنها وسيلة من يدين نفسه و يدين الدنيا برأى من الآراء هو مؤمن به و مؤمن بوجوب ايمان الناس به دون غيره.. فان قبلته الدنيا قبلها و ان لم قبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة، بل لعل فواته بالموت أشهى إليه.. هي حرفة لا تقاس اذن بمقاييس المغامرات و لا الصفقات و لكنها تقاس بمقاييسها الذي لا يتكرر و لا يستعاد على الطلب من كل رجل او في كل أوان.. و لا ننسى أن السنين الستين التي انقضت بعد حرفة الحسين، قد انقضت في ظل دولة تقوم على تحطتها في كل شيء و تصويب مقاتلية في كل شيء.. ان القول بصواب الحسين معناه القول ببطلان تلك الدولة، و التماس العذر له معناه القاء الذنب عليها. و ليس بخاف على احد كيف ينسى الحياة و تتبدل القرائن أحياناً في تنزيه السلطان القائم و تأثير السلطان [صفحة ١٠٧] الذاهب. فليس الحكم على صواب الحسين أو على خطأه اذن بالأمر الذي يرجع في الأى أولئك الصنائع المترافقين الذين يرهبون سيف الدولة القائمة و يغنمون من عطاها، و لا لصنائع مثلهم يرهبون بعد ذلك سيفاً غير ذلك السيف و يغنمون من عطاء غير ذلك العطاء.. إنما الحكم في صواب الحسين و خطأه لأمرin لا يختلفان باختلاف الزمان و أصحاب السلطان، و بما يواعث النفسية التي تدور على طبيعة الإنسان الباقية، و النتائج المقررة التي مثلت للعيان باتفاق الأقوال. و بكل من هذين المقياسين القويين نقيس حرفة الحسين في خروجه على يزيد بن معاوية، فنقول انه قد أصاب.. أصاب اذا نظرنا الى يواعث النفسية التي تهيمن عليه و لا يتخيل العقل أن تهيمن عليه يواعث غيرها.. و أصاب اذا نظرنا الى نتائج الحرفة كلها نظرة واسعة، و لا يستطيع أن يجادل فيها من يأخذ الأمور بسنة الواقع و المصلحة أو من يأخذ الأمور بسنة النجد و المروءة.. فما هي يواعث النفسية التي قامت بنفس الحسين يوم دعى في المدينة بعد موت معاوية لمبايعة ابنه يزيد؟ هي يواعث تدعوه كلها أن يفعل ما فعل و لا تدعوه منه الى صنيع [صفحة ١٠٨] غير ذلك الصنيع. و خير لبني الانسان ألف مرة أن يكون فيهم خلق كخلق الحسين الذي أغضب يزيد بن معاوية، من أن يكون جميع بنى الانسان على ذلك الخلق الذي يرضي به يزيد.. فأول ما ينبغي أن نذكره لفهم يواعث النفسية التي خامرته نفس الحسين في تلك المحنة الأليمية، أن ييأس يزيد لم تكن بالبيعة المستقرة و لا بالبيعة التي يضمها لها الدوام في تقدير صحيح.. فهى بياعة نشأت في مهد الدس و التملق، و لم يجسر معاوية عليها حتى شجعه عليها من له مصلحة ملحة في ذلك التشجيع.. كان المغيرة بن شعبه واليا لمعاوية على الكوفة، ثم هم بعزله و استناد ولايته الى سعيد بن العاص جريا

على عادته في اضعاف الولاية قبل تمكنتهم، وضرب فريق منهم بغيرق حتى يعينه بعضهم على بعض ولا يتتفقوا عليه. فلما أحسن المغيرة نية معاوية، قدم الشام ودخل على يزيد وقال له كالمستفهم المتعجب: لا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟ ولم يكن يزيد نفسه يصدق أنه أهل لها أو أن بيته مما يتم بين المسلمين على هيئة. فقال للمغيرة: أو ترى ذلك يتم؟ [صفحة ١٠٩] فأراه المغيرة أنه ليس بالعسير، اذا أراده أبوه.. وأخبر يزيد أباه بما قال المغيرة، فعلم هذا أن فرصته سانحة وأنه سيتأذل معاوية رشوة آجلة برسوته عاجلة.. يرسو باعاته على بيته يزيد، ويأخذ منه الرشوة ببقائه على ولاء الكوفة إلى أن يقضى في أمر هذه البيعة، وله في التمهيد لها نصيب.. فلما لقي معاوية سأله هذا عما أخبره به يزيد، فأعاده عليه وهو يزخرف له بما يرضيه. قال: قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنـة. فسألـه معاوية وهو يتهـب ويتأنـى: و من لي بذلك؟.. قال: أـكفيك أـهل الكوفـة، و يـكفيك زـيـد أـهل البصرـة، و ليس بـعـد هـذـين المـصـرـين أـحـد يـخـالـفـكـ. فـرـدـهـ مـعاـويـةـ إـلـىـ عـلـمـهـ كـمـاـ كـانـ يـتـمـنـيـ، وـ أـوـصـاهـ وـ مـنـ مـعـهـ أـلـاـ يـتـعـجـلـوـ باـظـهـارـهـ هـذـهـ النـيـةـ.. ثـمـ استـشـارـ زـيـدـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ، فـأـطـلـعـهـ هـذـاـ بـعـضـ خـاصـتـهـ عـلـىـ الـأـمـرـ وـ هـوـ يـقـولـ: انـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ، يـتـخـوـفـ نـفـرـةـ النـاسـ وـ يـرـجـوـ طـاعـتـهـ... وـ يـزـيـدـ [صفحة ١١٠] صـاحـبـ رـسـلـةـ وـ تـهـاـوـنـ مـعـ مـاـ قـدـ أـوـلـعـ بـهـ مـنـ الصـيـدـ.. فـالـقـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ وـ أـدـ الـيـهـ فـعـلـاتـ يـزـيـدـ وـ قـلـ لـهـ روـيـدـ كـبـالـأـمـرـ، فـأـحـرـىـ أـنـ يـتـمـ لـكـ وـ لـاتـعـجـلـ فـأـنـ درـكـ فـأـتـأـخـيرـ خـيرـ مـنـ فـوـتـ فـيـ عـجـلـةـ. فـأـشـارـ عـلـيـهـ صـاحـبـهـ «أـلـاـ يـفـسـدـ عـلـىـ مـعاـويـةـ رـأـيـهـ وـ لـاـ يـبغـضـهـ فـيـ اـبـنـهـ». وـ عـرـضـ عـلـيـهـ أـنـ يـلـقـيـ يـزـيـدـ فـيـخـبـرـهـ أـنـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ كـتـبـ الـيـكـ يـسـتـشـيرـكـ فـيـ الـبيـعـةـ لـهـ وـ اـنـكـ تـخـوـفـ خـالـفـ النـاسـ لـهـنـاتـ يـنـقـمـونـهـ عـلـيـهـ، وـ أـنـكـ تـرـىـ لـهـ تـرـكـ مـاـ يـنـقـمـ عـلـيـهـ لـتـسـتـحـكـ لـهـ الـحـجـةـ عـلـىـ النـاسـ. وـ قـالـوـاـ انـ يـزـيـدـ كـفـ عـنـ كـثـيرـ مـاـ كـانـ يـصـنـعـ بـعـدـ هـذـهـ النـصـيـحـةـ، وـ أـنـ مـعاـويـةـ أـخـذـ بـرـأـيـ زـيـدـ فـلـمـ يـجـهـرـ بـعـقـدـ الـبيـعـةـ حـتـىـ مـاتـ زـيـدـ.. وـ قـدـ أـحـسـ مـعاـويـةـ الـامـتـاعـضـ مـنـ بـيـتـهـ قـبـلـ أـنـ يـحـسـهـ مـنـ الـغـربـاءـ عـنـهـ. فـكـانـتـ اـمـرـأـتـهـ «فـاخـتـهـ» بـنـ قـرـطـهـ بـنـ حـيـبـ بـنـ عـبـدـشـمـسـ تـكـرـهـ بـيـعـةـ يـزـيـدـ وـ تـوـدـ لـوـ أـثـرـ بـالـبـيـعـةـ بـنـهـاـ عـبـدـالـلـهـ، فـقـالـتـ لـهـ: ماـ أـشـارـ بـهـ عـلـيـكـ المـغـيـرـةـ؟.. أـرـادـ أـنـ يـجـعـلـ لـكـ عـدـواـ مـنـ نـفـسـكـ يـتـمـنـيـ هـلـاـكـ كـلـ يـوـمـ. وـ اـشـتـدـتـ نـقـمـةـ مـروـانـ بـنـ الـحـكـمـ - وـ هـوـ أـقـرـبـ الـأـقـرـباءـ إـلـىـ مـعاـويـةـ - [صفحة ١١١] حـيـنـ بـلـغـتـهـ دـعـوـةـ الـعـهـدـ لـيـزـيـدـ فـأـبـيـ أـنـ يـأـخـذـ الـعـهـدـ لـهـ مـنـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ، وـ كـتـبـ إـلـىـ مـعاـويـةـ: «أـنـ قـومـكـ قـدـ أـبـواـ اـجـابـكـ إـلـىـ بـيـعـتـكـ». فـعـزـلـهـ مـعاـويـةـ مـنـ وـلـاءـ الـمـدـيـنـةـ وـ وـلـاهـ سـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ. فـأـوـشـكـ مـروـانـ أـنـ يـثـورـ وـ يـعـلـنـ الـخـرـوجـ وـ ذـهـبـ إـلـىـ أـخـوـالـهـ مـنـ بـنـيـ كـنـانـةـ فـنـصـرـوـهـ وـ قـالـوـاـ لـهـ: نـحـنـ بـلـكـ فـيـ يـدـيـكـ وـ سـيفـكـ فـيـ قـرـابـكـ. فـمـنـ رـمـيـتـ بـنـاـ أـصـبـنـاهـ وـ مـنـ ضـرـبـتـهـ قـطـعـنـاهـ... الرـأـيـ رـأـيـكـ، وـ نـحـنـ طـوـعـ يـمـيـنـكـ.. ثـمـ أـقـبـلـ مـروـانـ فـيـ وـفـدـ مـنـهـ كـثـيرـ إـلـىـ دـمـشـقـ، فـذـهـبـ إـلـىـ قـصـرـ مـعاـويـةـ وـ قـدـ أـذـنـ لـلـنـاسـ، فـمـنـعـهـ الـحـاـجـبـ لـكـثـرـةـ مـنـ رـأـيـ مـعـهـ فـضـرـبـوـهـ وـ اـقـتـحـمـوـ الـبـابـ. وـ دـخـلـ مـروـانـ وـ هـمـ مـعـهـ حـتـىـ سـلـمـ عـلـىـ مـعاـويـةـ وـ أـغـلـظـ لـهـ الـقـوـلـ. فـخـافـ مـعاـويـةـ هـذـاـ جـمـعـ مـنـ وـجـوـهـ قـوـمـهـ وـ تـرـضـيـ مـروـانـ مـاـ اـسـطـاعـ، وـ جـعـلـ لـهـ أـلـفـ دـيـنـارـ كـلـ شـهـرـ وـ مـائـةـ لـمـنـ كـانـ مـعـهـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـهـ. وـ لـمـ يـكـنـ مـروـانـ وـحـدـهـ بـالـغـاضـبـ بـيـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ مـنـ بـيـعـةـ يـزـيـدـ، بلـ كـانـ سـعـيدـ بـنـ عـشـانـ بـنـ عـفـانـ بـرـىـ أـنـ أـحـقـ مـنـهـ بـالـخـلـافـةـ لـأـنـهـ بـنـ عـشـانـ الـذـيـ تـذـرـعـ مـعاـويـةـ إـلـىـ الـخـلـافـةـ بـاسـمـهـ فـقـالـ لـمـعاـويـةـ: [صفحة ١١٢] ياـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ.. عـلـامـ تـبـاعـ لـيـزـيـدـ وـ تـرـكـىـ!.. فـوـالـلـهـ لـتـعـلـمـ أـنـ أـبـيـ خـيرـ مـنـ أـبـيـهـ وـ أـمـيـ خـيرـ مـنـ أـمـهـ، وـ أـنـكـ اـنـمـاـ نـلـتـ مـاـ نـلـتـ بـأـبـيـهـ.. فـسـرـىـ مـعاـويـةـ عـنـهـ... وـ قـالـ لـهـ ضـاحـكـاـ هـاشـاـ: ياـ اـبـنـ أـخـىـ!.. أـمـاـ قـولـكـ اـنـ أـبـاكـ خـيرـ مـنـ أـبـيـهـ، فـيـوـمـ مـنـ عـشـانـ خـيرـ مـنـ مـعاـويـةـ.. وـ أـمـاـ قـولـكـ اـنـ أـمـكـ خـيرـ مـنـ أـمـهـ، فـفـضـلـ قـرـشـيـةـ عـلـىـ كـلـيـةـ فـضـلـ بـيـنـ، وـ أـمـاـ أـنـ أـكـوـنـ نـلـتـ مـاـ أـنـاـ فـيـهـ بـأـبـيـكـ الـمـلـكـ يـؤـتـيـهـ اللـهـ مـنـ يـشـاءـ.. قـتـلـ أـبـوكـ رـحـمـهـ اللـهـ فـتـواـكـلـهـ بـنـوـالـعـاصـ وـ قـامـتـ فـيـهـ بـنـوـ حـرـبـ، فـتـحـنـ أـعـظـمـ بـذـلـكـ مـنـهـ عـلـيـكـ، وـ أـمـاـ أـنـ تـكـوـنـ خـيرـاـ مـنـ يـزـيـدـ فـوـالـلـهـ مـاـ أـحـبـ أـنـ دـارـيـ مـمـلـوـةـ رـجـالـاـ مـثـلـكـ بـيـزـيـدـ. وـ لـكـ دـعـنـىـ مـنـ هـذـاـ القـوـلـ وـ سـلـنـىـ أـعـطـكـ، وـ وـلـاهـ خـرـاسـانـ.. فـكـانـ أـكـبـرـ بـنـيـ أـمـيـةـ أـعـظـمـهـ أـمـلـاـ فـيـ الـخـلـافـةـ بـعـدـ مـعاـويـةـ، وـ كـانـ بـغـضـهـمـ لـبـيـعـةـ يـزـيـدـ عـلـىـ قـدـرـ أـمـلـهـ فـيـهـ، وـ هـؤـلـاءـ - وـ اـنـ جـمـعـتـهـ مـصـلـحـةـ الـأـسـرـةـ فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ - لـمـ تـكـنـ مـنـافـسـهـمـ هـذـهـ لـيـزـيـدـ بـالـعـلـامـهـ الـتـىـ تـؤـذـنـ بـالـبـقـاءـ وـ تـبـشـرـ بـالـضـمـانـ وـ الـقـرـارـ.. وـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ وـلـدـتـ بـيـعـةـ يـزـيـدـ بـيـنـ التـوـجـسـ وـ الـمـساـوـةـ وـ الـاـكـرـاهـ.. وـ بـهـذـهـ الـجـفـوـةـ قـوـبـلـتـ بـيـنـ أـخـلـصـ الـأـعـوـانـ وـ أـقـرـبـ الـقـرـباءـ.. وـ ظـهـرـ مـنـ الـلـحـظـاتـ الـأـوـلـىـ، اـنـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ شـعـبـةـ كـانـ سـمـسـارـاـ [صفحة ١١٣] يـصـافـقـ عـلـىـ مـاـ لـاـ

يملك... فقد ضمن الكوفة والبصرة ومنع الخلاف في غيرهما، فإذا الكوفة أول من كره بيعة يزيد، وإذا البصرة تتلها في الجواب واليها يرجى الأمر ويوصى بالتمهل فيه فلا يقدم عليه معاوية في حياته، وإذا أطراف الدولة من ناحية همدان ثور، وإذا بالحجاز يستعصي على بنى أمية سنوات، وإذا باليمين ليس فيها نصير للأمويين، ولو وجدت خارجا يعلن الثورة عليهم لكان ثورتها كثرة الحجاز... بل يجوز أن يقال - مما ظهر في حركة الحسين كل الظهور - أن الشام نفسها لم تنتظ على رجل يوم من بحق يزيد وبطان دعوى الحسين. فقد كانوا يتبرجون من حرب الحسين ويتسلل من استطاع منهم التسلل قبل لقائه، إلا أن يهدد بقطع الأرزاق وقطع الرقاب. وحوادث التي تلت حركة الحسين إلى ختام عهد يزيد أدل مما تقدم على اضطراب عهده وقلة ضمانه، لأن الأحداث والنذر لم تزل تتواتي بقية حياته وبعد موته بسنين. ونحن اليوم نعلم من التاريخ كيف انتهت هذه الحوادث والنذر في عهد يزيد أو بعد عهده، فيخلي علينا أن عواقبها لم تكن تحتمل الشك ولم يكن بها من خفاء. ولكن الذين استقبلوها كانوا خلقاً لا يروا فيها طوال ملك تعني له الرؤوس ويرجى له طول البقاء. [صفحة ١١٤]

بواحد الخروج

نعم كانت هناك ندحة عن الخروج لو كان يزيد في الخلافة رضى المسلمين من العقل والخلق وسلامة التدبير وعز المؤئل والدولة، وكان المسلمون قد توافروا على اختياره لجهم اياه، وعظمتهم لعقله وخلقه واممانتهم إلى سياسته واعتمادهم على صلاحه واصلاحه.. ولكنه على نقيس ذلك، كان كما علمنا رجلاً هازلاً. في أحوج الدول إلى الجد، لا يرجى له صلاح ولا يرجى منه اصلاح. و كان اختياره لولاية العهد مساومةً مكشوفةً قبض كل مسامح فيها ثمن رضاه و معونته جهراً و علانيةً من المال أو الولاية أو المصانعة، ولو قبضوا مثل هذا الثمن ليبايعوا ولها للعهد شرداً من يزيد لما يبايعوه و ان تعطلت حدود الدين و تقوضت معالم الأخلاق.. و أعجب شيء أن يطلب إلى حسين بن على أن يبايع مثل هذا الرجل و يزكيه أماماً المسلمين، و يشهد له عندهم أنه نعم الخليفة المأمور صاحب الحق في الخلافة و صاحب القدرة عليها... و لا مناص للحسين من خصلتين: هذه، أو الخروج!... لأنهم لن يتزكيه بمتر عن الأمر لا له ولا عليه... [صفحة ١١٥] ان بعض المؤرخين من المستشرقين و ضعاف الفهم من الشرقيين ينسون هذه الحقيقة و لا يرلونها نصيتها من الرجحان في كف الميزان. و كان خليقاً بهؤلاء أن يذكروا أن مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسلام و يعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يتحقق به و بأهله و بالأمة العربية قاطبة في حاضرها و مصيرها. لأنه مسلم و لأنه سبط محمد... فمن كان إسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين هداية نفس و شرف بيت... و قد لبث بنو أمية بعد مصرعه ستين سنة يسبونه و يسبون أباه على المنابر، و لم يجرس أحد منهم قط على المساس بورعه و تقواه و رعايته لأحكام الدين في أصغر صغرية يباشرها المرء سراً أو علانيةً، و حاولوا أن يعيشو بشيء غير خروجه على دولتهم فقصرت أسلتهم و ألسنة الصنائع والأجراء دون ذلك. فكيف يواجه مثل هذا الرجل خطراً على الدين في رأس الدولة و عرش الخلافة مواجهة الهوادة و المسايعة و التأمين؟ و كيف يسام أن يرشح للامامة من لا شفاعة له و لا كفاية فيه الا أنه ابن أبيه؟... لقد كان أبوه معاوية على كفاءة و وقار و حنكة و دراية بشؤون الملك و الرئاسة، و كان له مع هذا نصحاء و مشيرون أو لو براعة و أحلام تكبح [صفحة ١١٦] من السلطان ما جمح و تقيم ما انحرف و تملئ له فيما عجز عنه. و هذا ابنه القائم في مقامه لا كفاءة و لا وقار و لا نصحاء و لا مشيرون، الا من كان عوناً على شر أو موافقاً على ضلاله. فما عسى أن تكون الشهادة له بالصلاح للامامة الا تغريها بالناس و قناعه بالسلامة او الأجر المبذول على هذا التغري؟.. ثم هي خطوة لا رجعة بعدها اذا أقدم عليها الحسين بما أثر عنه من الوفاء و صدق السريرة. فإذا بايع يزيد فقد و في له بقية حياته كما و في لمعاوية بما عاهده عليه، و لا سيما حين يبايع يزيد على علم بكل نقيسه فيه قد يتخلل بها المتعلق لنقض البيعة و اتحال أسباب الخروج. فملك يزيد لم يقم على شيء واحد يرضاه الحسين لدينه أو لشرفه أو للأمة الإسلامية. و من طلب منه أن ينصر هذا الملك فانما يطلب منه أن ينصر ملكاً ينكر كل دعوه و لا

يحمد له حالة من الأحوال، ولا تنس بعد هذا كله أن هذا الملك كان يقرر دعائمه في أذهان الناس بالغض من الحسين في سمعة أبيه وكرامة شيعة و مريديه. فكانوا يسبون عليا على المنابر و ينعتونه بالكذب و المروق و العصيان، و كانوا يتبرون أنصاره حيث كانوا في قيرونهم على سبه و التيل منه بمشهد من الناس، والا أصحابهم العنت و العذاب و شهروا في الأسواق بالصلب و الهوان. فمجارأ هذه الأمور كلها في مفتاح ملك جديد معناه أنها سنة قد وجبت [صفحه ١١٧] واستقرت الجيل بعد الجيل بغير أمل في التغيير والتبديل. فمن أقر هذه السنة في مفتاح هذا الملك الجديد فقد ضعف أمله و ضعف أمل أنصاره فيه يوما بعد يوم، و ازداد مع الزمن ضعفا كما ازدادت حجة خصومة قوئه عليه. هذه هي البواعث النفسية التي كانت تجيش في صدر الحسين يوم دعاه أولياء بنى أمية إلى مبايعة يزيد و التزول عن كل حق له و لأبنائه و لأسرته في امامه المسلمين، كانوا من كان القائم بالأمر و بالغا ما بلغ من قلة الصلاح و بطidan الحجة. وهي بواعث لا تشيه عن الخروج و لا تزال تلح عليه في اتخاذ طريق واحد من طريقين لا معدل عندهما، و هما الخروج ان كان لابد خارجا في وقت من الأوقات، أو التسليم بما ليست ترضاه له مروءة و لا يرضاه له ايمان...

مصرع و انتصار

أما نتائج الحركة كلها - اذا نظرنا إليها نظرة واسعة - فهي أنجح للقضية التي كان ينصرها من مبايعة يزيد. فقد صرخ الحسين عام خروجه، و لحق به يزيد بعد ذلك بأقل من أربع سنوات.. و لم تنقض ست سنوات على مصرع الحسين حتى حاق الجزاء بكل [صفحه ١١٨] رجل أصحابه في كربلاء، فلم يكدر يسلم منهم أحد من القتل و التنكيل مع سوء السمعة و سوسان الضمير. و لم تعمد دوله بنى أمية بعدها عمر رجل واحد مدید الأجل، فلم يتم لها بعد مصرع الحسين نيف و ستون سنة!.. و كان مصرع الحسين هو الداء القاتل الذي سكن في جثمانها حتى قضى عليها، و أصبحت ثارات الحسين نداء كل دوله تفتح لها طريقا إلى الاسماع و القلوب.. و لاصابة هذه الحركة في نتائجها الواسعة دخل في روع بعض المؤرخين أنها تدبّر من الحسين رضي الله عنه، توخاه منذ اللحظة الأولى و علم موعد النصر فيه. فلم يخامر الشك في مقتله ذلك العام، و لا في عاقبة هذه الفعلة التي ستحقق لا محالة بقاتليه بعد أعوام. فقال ماريني الألماني في كتابه (السياسة الاسلامية): «ان حركة الحسين في خروجه على يزيد انما كانت عزمه قلب كبير عز عليه الاذعان و عز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله و ذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الأجل بعد موته، و يحيي به قضية مخدولة ليس لها بغير ذلك حياة». فان لم يكن رأي الكاتب حقا كله، فبعضه على الأقل حق لا شك فيه و يصدق ذلك - في رأينا - على حركة الحسين بعد أن حيل بينه وبين الذهاب لوجهه الذي يرتضيه، فأثر الموت كيما كان و لم يجعل ما [صفحه ١١٩] يتحقق بيني أمية من جراء قتله.. فهو بالغ منهم بانتصارهم عليه ما لم يكن ليبلغه بالنجاة من وقعة كربلاء. و قد جرى ذكر الموت على لسان الحسين من خطوطه الأولى و هو يتهدأ للرحيل و يودع أصحابه في الحجاز؛ فقال لهم: «ان الموت حق على ولد آدم» و لكم يخف عليه أنه يركب الخطوة التي لا يبالى راكبها ما يصيبه من ذلك القضاء. لكنه لم يكن ييأس من اقناع الناس و التفافهم به منذ خطوطه الأولى. و لم يعقد عزمه على ملاقاة الموت حتى ساموه الرغم، و أبوا عليه أن ينصرف إلى أي منصرف قبل التسليم المبين، مسقا على الكره منه إلى عبيد الله بن زياد.. و تتبادر آراء المتأخرین خاصة في خروج الحسين بنسائه و أبنائه، أكان هو الأحزن و الأكرم أم كان الأحزن و الأكرم أن يخرج بمفرده حتى يرى ما يكون من استجابة الناس له أو اعراضهم عنه و ضعفهم في تأييده. و ليس للمتأخرین أن يقضوا في مسألة كهذه بقولهم و عاداتهم، لأنها مسألة يقضى فيها بحكم العقل العربي و عاداتهم، لأنها مسألة يقضى فيها بحكم العقل العربي و عاداته في أشباه هذه المواقف. و قد [صفحه ١٢٠] كان اصطحاب النساء و الأبناء عادة عربية في البعثة التي يتصدى لها المرء متعمدا القتال دون غيره فضلا عن البعثة التي قد تشتبك في القتال و قد تنتهي بسلام كبعثة الحسين. فكان المقاتلون في وقعة ذي قار يصطحبون حلالهم و ذراريهم و يقطعون وضن الرواحل - أى أحزمتها - قبل خوض المعركة، و كان المسلمين و المشركون معا يصطحبون الحالئ و الذراري في غزوات النبي عليه السلام، و كان مع المسلمين في حرب الروم صفة نساء قريش و عقائل بيوتاتها، و كان النبي عليه

الصلوة والسلام يصطحب زوجة أو أكثر من زوجة في غروته وحربه، وحكم الواحدة هنا حكم الكثيرات، وهي عادة عربية عريقة يقصدون بها الاشهاد على غاية العزم وصدق النية فيما هم مقبلون عليه، وفي معلقة ابن كلثوم اشاره مجملة الى معنى هذه العادة العربية من قديم عصورها حيث يقول: على آثارنا يبض حسان نحاذر أن تقسم أو تهون أيقتن جيادنا و يقلن لست بعولتنا اذا لم تمنعنا قد كان الحسين رضى الله عنه يندب الناس لجهاد يخوضونه ان [صفحه ١٢١] قضى عليهم أن يخوضوه فلا يبالون ما يصيبهم في أنفسهم وفي أبنائهم وأموالهم، لأنهم يطلبون به ما هو أعز على المؤمن من النفس والولد والمال، فليس من المروءة أن يندبه لأمر لا يكون قدوة لهم فيه. و كان على الحسين وقد أزمع الخروج أن يجمع له أقوى حجة في يديه ويجمع على خصومه أقوى حجة تنقلب عليهم، اذا غلبوه وأخفق في مسعاته... فيكون أقوى ما يكون و هو متصر، و يكونون بعض ما يكونون و هو مخدول.. و المسلم الذي ينصر الحسين الشريف أولى أن ينصره غاية نصره و هو بين أهله و عشيرته، و الا فما هو بناصره على الاطلاق، و تنقلب الآية في حالة الخذلان، فيnal المتصار من البغضاء و النكمة على قدر انتصاره الذي يوشك أن ينقلب عليه.

صواب الشهداء

و جملة ما يقال ان خروج الحسين من الحجاز الى العراق، كان حركة قوية لها بواعتها النفسية التي تنهض بمثله و لا يسهل عليه أن يكتبها أو يحيى بها عن مجرها.. و انها قد وصلت الى نتائجها الفعالة من حيث هي قضية عامة تتجاوز [صفحه ١٢٢] الأفراد الى الأعقاب والأجيال، سواء أكانت هذه القضية نصرة آل الحسين أم حرباً لبني أمية.. إنما يbedo الخطأ في هذه الحركة حين ننظر اليها من زاوية واحدة ضيقه المجال قريبة المرمى، وهي زاوية العمل الفردي الذي يراضي بأساليب المعيشة اليومية و يدور على النفع العاجل للقائمين به و الداعين اليه.. فحركة الحسين لم تكن مسددة الأسباب لمنفعة الحسين بكل ثمن و حيثما كانت الوسيلة.. و علة ذلك ظاهرة قريبة.. و هي أن الحسين رضى الله عنه طلب الخلافة بشروطها التي يرضاهما و لم يطلبها غنيمة يحرض عليها مهما تكلفه من ثمن و مهما تتطلب من وسيلة.. و هنا غلطه الشهداء.. بل قل: هنا صواب الشهداء.. و من هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذي يصاب و يعلم أنه يصاب لأن الواقع يخذه و لا يجري معه الى مرماه؟ منذ القدم، أخطأ الشهداء هذا الخطأ، ولو أصابوا فيه لما كانوا شهداء و لا شرفت الدنيا بفضيله الشهادة.. [صفحه ١٢٣] فالحسين رضى الله عنه قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تستنقى خلافة الراشدين، أو حيث تستنقى الدولة الدنيوية التي يضمن بها أصحابها و يتکالبون عليها و يتسلون اليها بوسائلها.. فكانت عنایة بالدعوة و الاقناع أعظم جداً من عنایته بالتنظيم و الالتزام.. نزل رسوله الأول مسلم بن عقيل بالکوفة صفر الیدين من المال حتى احتاج فيها أن يقترض سبعمائة درهم هي التي أوصى بودها الى أصحابها قبل قتلها.. و تلك عقبة من العقبات التي تعوق الدعوات الكبار، و لكنها على هذا لم تكن بالعقبة العصبية التذليل.. فلو أنه قد طلب المال من وسائله الدنيوية أو السياسية، لما استعصى عليه أن يأخذ منه ما يكفيه. فعلله كان ميسوراً له بعد أن تجمعت حوله الأنصار و بايع الحسين على يديه ثلاثة ألفاً كما جاء في بعض الروايات. ففي تلك اللحظة لعله كان يستطيع أن يحيط بقصر الوالي الأموي و يستولى عليه و ينشئ الحكومة الحسينية فيه. ثم لعله كان يستطيع بعد ذلك أن يوجه الدعاء الى أطراف الدولة الشرقية ليتلقي البيعة و يقيم الولاة و يحشد الأجناد.. [صفحه ١٢٤] فإذا كان هذا فاته حتى خف الأمونين لدرء الخطر عنهم و بعثوا الى الكوفة بعيد الله بن زياد، فقد سبق عبيدة الله هذا في يوم من الأيام الى يديه و كان في وسعه أن يبطش به و يستوى على كرسيه و يحرم يزيد ابن معاوية نصيراً من أعنف أنصاره.. و قد فاته هذا لأن شريعة الخلافة لا تبيحه في رأيه، أو لأنه اعتقد أن الحق بين و أن الباطل بين.. فلا حاجة به بعد التمييز بينهما الى فتكه الغدر كما سماها، و لا محل عنده لاهدار الدماء و هو يعني على الدولة القائمة أنها تهدر الدماء بالشبهات... و لقد رأى مسلم أن حق صاحبه في الخلافة قائم على شيء واحد و هو اقبال الناس اليه طائعين و مبايعتهم ايام مختارين. فأما و قد تفرقوا عنه رهبة من السلطان أو ضعفاً في اليقين، فالرأي عنده أن يكتب الى صاحبه يعلمه بانفصال الناس عنه و يشيه عن القدوم، و لا حق له عليهم بعد ذلك حتى يشوبوا اليه... و قيام الخلافة على هذا الاختيار

عقيدة لا نفهمها نحن الآن، ولكن قد يفهمها يومئذ من كان على مقربة من عهد النبوة و عهد الصديق و الفاروق... فقد كان الصراع بين الحسين و يزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة و عهد الخلفاء الأولين.. [صفحه ١٢٥] لم يكن الصراع بين على و معاویة على هذا الوضوح الذي لا شبهة فيه بين الحق و الباطل و بين الفضيلة و النقيصة... لكنه في بيعة الحسين كان قد وضع وضوح الصبح لذى عينين. و كان ذلك كما قلنا أول تجربة من قبيلها بعد عهد الفداء في سبيل العقيدة و الإيمان.. بعد العهد الذي كان الرجل فيه يجرح من ماله و ينفصل من ذويه و يتجرد لحرب أبيه و أخيه و بنيه ان خالفوه في أمر الاسلام.... بعد العهد الذي كان القليل فيه من المسلمين يصدون الكثير من المشركين و في أيديهم السلاح و العتاد و من ورائهم المعاقل و الأزواej... بعد العهد الذي تغير فيه الناس، و خيل الى من كان يعهد لهم على غير تلك الحال أنهم متغيرون...

الناس عبيد الدنيا

فكيف ينخدل الحسين و ينتصر يزيد في عالم شهد النبوة و شهد الخلافة على سنة الراشدين؟ ان كلمة واحدة قالها الحسين في ساعة يأسه تشف عن مبلغ يقينه بوجوب الحق و عجبه من أن يكون الأمر غير ما وجب، و ذلك حيث قال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معاشهم، فإذا محسوا بالبلاء قل الديانون». ان الطبائع الأرضية لا تنخدع في صلاح الناس و لا تعجب هذا [صفحه ١٢٦] العجب لأنها لا تخرج من نطاقها المحدود و لا تصدق ما وراءه من الآمال و الوعود. أنها لا تضل عن طريق المنفعة لأنها لا تعرف غيرها من طريق، أنها تؤثر القنديل الخافت في يدها على الكوكب اللامع في السماء، لأنها لا ترى الكوكب الامع في السماء، بل لأنها ترى القنديل و الكوكب فتعلم أن هذا قريب و أن ذلك جد بعيد... أنها تنخدع بالسراب لأنها لا تخرج من عقر دارها و لا تشعر بظمام المؤ Jad و لا تنظر إلى السراب... و لكن طبيعة الشهداء غير طبيعة المساومة على البيع و الشراء... طبيعة المساومة موكلاً بالحرص على الهنات... و طبيعة الشهادة موكلاً ببذل الحياة لما هو أدور من الحياة... و شتان طبيعة و طبيعة، و شتان خطأ الشهداء و خطأ المساومين. و ليست موازين المساومة بالموازين الفذة التي يصلح عليها أمر بنى الإنسان، فإن بنى الإنسان ما بهم غنى قط عن الذين يخطئون لأنهم أرفع من المصيبيين، و انهم لهم الشهداء. و انهم لعلى صواب في المدى البعيد، و ان كانوا على خطأ في المدى القريب... مدى الأجوف و المعدات و الجلود لا مدى الأرواح و الأخلاص... [صفحه ١٢٧] من هؤلاء كان الحسين رضى الله عنه، بل هو أبوالشهداء و ينبوع شهادة متعاقبة لا يقرن بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين. فلا جرم يصيب في المدى البعيد و يخطيء في المدى القريب... مدى المنفعة التي هو في معيشته يومه، و هو المدى الذي لا يأسف عليه و لا ينص الر Kapoor اليه.. [صفحه ١٢٩]

كرباء

الحرم المقدس

عرفت قديما باسم «كور بابل» ثم صحت إلى كربلاء، فجعلها هذا التصحيح عرضة لتصحيف آخر يجمع بين الكرب و البلاء، كما رسمها بعض الشعراء... و لم يكن لها ما تذكر به في أقرب جيرة لها فضلاً عن أرجاء الدنيا بعيدة منها... فليس لها من موقعها، و لا تربتها، و لا من حوادثها، ما يغرى أحداً يرؤيتها ثم يثبت في ذاكره من يراها ساعة يرحل عنها. فلعل الزمن كان خليفاً أن يعبر بها سنة بعد سنة و عصراً بعد عصر، دون أن يسمع لها اسم أو يحس لها بوجوده... إلا أن تذكر «نيتو» و جيرتها فتدخل في زمرة تلك الجيرة بغير حساب. و شاءت مصادفة من المصادرات أن يساق إليها ركب الحسين بعد أن حيل بينه وبين كل وجهة أخرى، فاقترون تاريخها منذ ذلك اليوم بتاريخ الإسلام كله. و من حقه أن يقترن بتاريخ بنى الإنسان حياماً [صفحه ١٣٠] عرف لهذا الإنسان فضيلة يستحق بها التنوية و التخليد. فهـي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبـرة و الذكرـى، و يزوره غير المسلمين للنظر و المشاهـدة، و لكنـها لو أعـطيـت

حقها من التنوية والتخليد، لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القدسية وحظاً من الفضيلة، لأننا لا نذكر بقعةً من بقاع هذه الأرض يقترب اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزمه نوع الإنسان من تلك التي اقترن باسم كربلاء، بعد مصرع الحسين فيها. فكل صفةٍ من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان إنسان وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم... فهى مقرونةٌ في الذكرة أيام الحسين رضى الله عنه في تلك البقعة الجرداً. وليس في نوع الإنسان صفات علويات أبلٍ ولا ألزم له من الإيمان والقداء والإيثار ويفظة الصميم وتعظيم الحق ورعاية الواجب والجلد في المحنّة والأنفة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحظوم... وهى - ومشيلات لها من طرازها - هي التي تجلت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين، ولم تجتمع كلها ولا تجلت قط في موطن من المواطن تجلّيها في تلك الحوادث، وقد شاء القدر أن تكون في جانب منها أشرف ما يشرف به أبناء آدم، لأنها في الجانب الآخر منها أخزى ما يخزى به مخلوق من المخلوقات... وحسبك من تقويم الأخلاق في تلك النفوس، أنه ما من أحد [صفحة ١٣١] قتل في كربلاء إلا كان في وسعه أن يتتجنب القتل بكلمة أو بخطوة، ولكنهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين على أن يقولوا تلك الكلمة أو يخطوا تلك الخطوة، لأنهم آثروا جمال الأخلاق على متاع الحياة... أو حسبك من تقويم الأخلاق في نفس قائدتها وقدرتها أنهم رأوه بينهم فاقتدو بأنفسهم، ولن يبعث المرء روح الاستشهاد فيمن بلازمة إلا - أن يكون هو أهلاً للاستشهاد في سبيله وسبيل دعوته، وأن يكون في سلقة الشهيد الذي يأتى به الشهداء.

موت معك

أقبل الفتى الصغير على بن الحسين على أبيه... وقد علم أنهم مخرون بين الموت والتسليم فسألته:- ألسنا على الحق؟... قال الوالد المنجب النجيب:- بل و الذي يرجع اليه العباد... فقال الفتى:- يا أبي!! فاذن لا - تبالي!... و هكذا كانوا جميعاً لا يبالون ما يلقون، ما علموا أنهم قائمون بالحق و عليه يموتون... [صفحة ١٣٢] وأراد الحسين - وقد علم أن التسليم لا يكون - أن يبقى للموت وحده و لا يعرض له أحداً من صحبه. فجمعهم مرةً بعد مرةٍ و هو يقول لهم في كل مرة: «لقد بررتم و عاونتم و القوم لا يريدون غيري. ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً... فإذا جنكم الليل فتفرقوا في سواده و انجووا بأنفسكم»... فكاناماً كان قد أراد لهم الهلاك و لم يرد النجاة، و فرعوا من رجائهم إيه كمَا يفزع غيرهم من مطالبتهم بالثبات و البقاء. و قالوا له كأنهم يتكلمون بلسان واحد: «معذ الله و الشهر الحرام... ماذا نقول للناس اذا رجعنا اليهم؟ أنتول لهم انا تركنا سيدنا و ابن سيدنا و عمادنا، تركناه غرضاً للنبل و دريئه للرماح و جزراً للسباع، و فررنا عنه رغبة في الحياة؟ معاذ الله... بل نحيا بحياتك و نموت معك...». قالوا له نموت معك و لك رأيك؛ و لم يخطر لأحد منهم أن يزيّن له العدول عن رأيه ايثاراً لنجاتهم و نجاته. و لو خادعوا أنفسهم قليلاً لزينوا له التسليم و سموه نصيحة مخلصين يريدون له الحياة، و لكنهم لم يخادعوا أنفسهم و لم يخادعواه، و رأوا أصدق النصيحة له أن يجنّبوا التسليم و لا يجنّبوا الموت، و هم جميعاً على ذلك. و لم يكونوا جميعاً من ذوى عمومته و قرباه، بل كان منهم غرباء نصحوا له و لأنفسهم هذه النصيحة التي ترهب العار و لا - ترهب الموت. فقال له زهير بن القين: «و الله لو ددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى [صفحة ١٣٣] أقتل هكذا ألف مرة، و يدفع الله الفشل عن نفسك و عن نفس هؤلاء الفتياً من أهل الفتياً من أهل بيتك». و قال مسلم بن عوجة كأنه يعتب لما اختار له من السلام: «أتحنّ نخلّي عنك؟ و بم نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ لا و الله حتى أطعن في صدورهم برمحي و أضرفهم بسيفي ما ثبت قائمهم في يدي، و لو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقتلتهم بالحجارة. و الله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك. و أما و الله لو علمت أني أقتل ثم أحري ثم أحرق ثم أحرق ثم أذرى و يفعل بي ذلك سبعين مرةً ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك...» و جاء إلى رجل من أصحابه الغريب بنباً عن ابنه في فتنة الدليم، فعلم أن الدليم أسروه و لا يفكرون اسراه بغير فداء، فأذن له الحسين أن ينصرف و هو في حل من بيته و يعطيه فداء ابنه. فأبى الرجل إباء شديدة، و قال: «عند الله أحتسبه و نفسي» ثم قال للحسين: «هيئات أن أفارقك ثم أسأل الركبان عن خبرك. لا يكن و الله هذا أبداً»... و قد تناهت هذه المناقب إلى مدارها

الأعلى في نفس قائدتهم الكريم... يخيل الى الناظر في أعماله بكرباء أن خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها أيها يظفر بفار اليم، فلا يدرى أكان في شجاعته أشجع، أم في صبره أصبر، أم في كرمه أكرم، أم في ايمانه وأنفته وغيرته على الحق [صفحة ١٣٤] بالغا من تلك المناقب المثلى أقصى مداه... الا انه كان يوم الشجاعة لامراء، وكانت الشجاعة فضيلة الفضائل التي تمدها سائرها بروافد من كل خلق نبيل يعينها على شأنها. فكان الحسين - شبل على - في شجاعته الروحية والبدنية معاً غاية الغايات، و كان مضرب المثل بين الرعيل الأول من أشجع الشجعان في أبناء آدم و حواء... ملك جائه... و كل شيء من حوله يوهن الجأش، و يحل عقدة العزم، و يغري بالدعة والمجاراة... ملك جائه و من حوله نساؤه و أبناؤه في نضارة العمر، يجوعون و يظماؤن، و يتسبّبون به و ييكونون، و ملك جائه رؤية و أناة و لم يملكه و ثبة و اثب الى الغضب او هيجنة مهتاج الى الوعي، فكان قبل القتال و في حومة القتال قويا بصيراً ينفض الصعف عن عزائمه، كما ينفض الأسد غبرات الحصباء عن لبده، و لم يخامره الأسف قط في ذلك الموقف المرهوب الا من أجل أحبابه و أعزائه الذين يراهم و يرونهم و يسمع صحيحتهم و يسمعونه. فقال و هو ينظر الى الأخيبة و من فيها: «الله در ابن عباس فيما أشار به على!». و جلس ليلاً القتال في خيمته يعالج سهاماً له بين يديه و يرتجز و أماه ابنه العليل: يا دهر أَفْ لَكَ من خليل كم لك بالاشراق والأصيل [صفحة ١٣٥] من صاحب و ماجد قليل و الدهر لا يقنع بالبدليل و الأمر في ذاك الى الجليل و كل حي سالك سبيلي فرد ابنه عبرته لكيلاً يزيده ألمًا على ألمه. و سمعته أخته زينب، فلم تقو على حنانها و جلها، و خرجت اليه من خبائثها حاسرة تنادي: «و اتكلاه! اليوم مات جدي رسول الله و أمي فاطمة الزهراء و أبي على و أخي الحسين فليت الموت أعدمني الحياة يا حسيناه! يا بقية الماضين و ثماله الباقيين!» فبكى لبكائها و لم يتنش ذرة عن عزمه الذي بات عليه، و قال لها:- يا أخت! لو ترك القطا لنام... و لم يزل يناشدتها... و يعزّيها و هو في قراره نفسه مستقر كالطود على مواجهة الموت و اباء التسليم أو التزول على «حكم ابن مرجانة» كما قال... ثم احتملها مغشياً عليها حتى أدخلها الخباء... تزول الممالك و تدول الدول و تنبع المطامع أو تخيب و تحضر المطالب أو تغيب. و هذه الخلائق العلوية في صدر الانسان أحق بالبقاء [صفحة ١٣٦] من الممالك و ما حوتها، و من الدول و ما حفظته أو ضيعته، بل أحق بالبقاء من رواسي الأرض و كواكب السماء...

حرب النور والظلم

و كانت فئة الحسين صغيرةً كما علمنا قد رصدت لها هنالك تلك الفئة الكبيرة التي تناقضها أتم ما يكون التناقض بين طرفين، و تباعدتها أبعد ما تكون المسافة بين قطبين، فكل ما فيها أرضي مظلم مسف بالغ في الاسفاف، و ليس فيها من النفحات العلوية نصيب... للصادفات نظام و تدبير...؟! نحن لا نعلم الا أنها صادفات يخفى علينا ما بينها من الوشائج و الصلات... و لكنها - لذلك - هي الاعجوبة التي تستوقف النظر لعجبها العاجب، و ان لم تستوقفه لما يفهمه فيها من نظام و تدبير فجيرة كربلاء كانت قد ياماً من معاهد الایمان بحرب النور و الظلم، و كان حولها أناس يؤمنون بالنضال الدائم بين أورمزد و أهرمان. و لكنه كان في حقيقته ضرباً من المجاز و فتاً من الخيال. و تشاء صادفات التاريخ الا أن ترى هذه البقاع التي آمنت بأورمزد و أهرمان حرباً هي أولى أن تسمى حرب النور و الظل من حرب الحسين و مقاتليه... [صفحة ١٣٧] و هي عندنا أولى بهذه التسمية من حروب الاسلام و المجموعة في تلك البقاع و ما وراءها من الارض الفارسية لأن المجموعة كان يدافع شيئاً ينكره... ففي دفاعه يعني من الایمان بالواجب كما تخيله ورآه، و لكن الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين كان جيشاً يحارب قلبه لأجل بطنه أو يحارب ربه لأجل و اليه. اذ لم يكن فيهم رجل واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين أو رجحان حق بيزيد، و لم يكن فيهم كافر ينفع عن عقيدة غير عقيدة الاسلام، الا من طوى قلبه على كفر كمين هو مخفية، و لا نخالهم كثرين... و لو كان يحاربون عقيدة بعقيدة، لما لصقت بهم و صمة النفاق و مسبة الأخلاق... فعدا وتهم ما علموا أنه الحق و شعروا أنه الواجب أقبح بهم من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله و معرض عنه بشعوره، لأنهم يحاربون الحق و هم يعلمون... و من ثم كانوا في موقفهم ذاك ظلاماً مطبقاً. ليس فيه من شعور الواجب بصيص واحد من عالم النور

و الفداء... فكانوا حفافى يوم كربلاء قوة من عالم الظلام تكافح قوة من عالم النور. أقربهم الى العذر يومئذ من اعتذر بالفرق و الرهبة لأنهم أكثروا بالسيف على غير ما يريد... فكان الجن أشرف ما فيهم من خصال السوء. و كان منهم أناس كتبوا الى الحسين يستدعونه الى الكوفة ليابيعوه [صفحه ١٣٨] على حرب يزيد، فلما ندبهم عمر بن سعد للقائه و سؤله أحجموا عما ندبهم له و استغفوه، لأن جوابهم ان سأله في شأن مجئه اليهم: انتي جتكم مليا ما دعوتم اليه!... و ركب أناسا منهم الفزع الدائم بقيه حياتهم لأنهم عرفوا الاثم فيما اقترفوه عرفانا لا تسعمهم المغالطة فيه، و من هؤلاء رجل من بنى أبان بن دارم كان يقول:- قلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود... فما نمت ليلةً منذ قتلته الا أتأني فياخذ بتلايبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح مما يبقى أحد في الحى إلا سمع صياحي. ورأى هذا الرجل صاحب له بعد حين وقد تغير وجهه و اسود لونه، فقال له: «ما كدت تعرفك»، و كان يعرفه جميلاً شديد البياض... و منهم من كان يتراور عن الحسين في المعمة، و يخشى أن يصيبه أو يصاب على يديه، و لو أنهم حاربوه لأنهم علموا أنه أهل للمحاربة فلم يتراوروا عنه و لم يتحاشوه ل كانت الحرب هناك حرباً بين رأيين و مذهبين و شجاعتين، و لكنهم كشفوا أنفسهم بتحاشيهم اياه. فإذا هم يحاربون رأيهم الذي يدينون به، و ولهم الذي يضمرون له الحرمة و الكرامة، و في ذلك خزيهم الأليم. [صفحه ١٣٩] على أن الجن و الجشع لا يفسران كل ما اقترفه جيش عبيد الله من شر و لؤم في أيام كربلاء. فلا حاجة بالجبان و لا بالجشع الى التمثيل أو التبرع بالآيادء حيث لا تلجهه الضرورة اليه، و ليس قتل الطفل الصغير الذي يموت من العطش و هو على مورد الماء بالأمر الذي يلتجئ اليه الجن أو يلتجئ اليه طلب المال، و قد حدث في أيام كربلاء من أمثال هذا البغي اللئيم شيء كثير رواه الأمويون، و لم تقتصر روايته على الهاشميين و الطالبيين أو أعداء بنى أمية! وينبغى أن نفهم ذلك على وجه واحد لا سبيل إلى فهمه بغيره، و هو نكسة الشر في النفس البشرية، حين تلتج بها مغالطة الشعور و حين تغالب عنانها حتى تعيبها المغالبة فينطلق بها العنان. فالرجل الخبيث المغرق في الخيانة قد يتصرف في خلوته تصرف الأنذال ثم لا يبالي أن يعرف نذالته و هو بنجوة من أعين الرقباء. ولكن أربعة الآلاف لا يتشاركون بالنذالة بينهم و لا يقول بعضهم لبعض أنهم يعملون ما يستحقون به التحقيق و المهانة و لا تقبل لهم فيه معذرة و لا علة. و إنما شأنهم في هذه الحالة أن يصطنعوا الحماسة و يجاهدوا التردد ما استطاعوا ليظهروا في ثوب الغلاة المصدقة الذين لا يشكون لحظة في صدق ما يعملون، فيغمض الرجل منهم عينيه و يستتر بغشاء من التفاق [صفحه ١٤٠] حتى ليوشك أن يخدع نفسه عن طيبة فؤاده... و تلك لجاجة المغالطة في الشعور... أما مجاذبة النفس عنانها و انطلاقها بعد هذه المجاذبة المخفة، فالشواهد عليها كثيرة فيما نراه كل يوم... يحاول الرجل أن يتجنب الخمر فلا يستطيع، فإذا هو قد خلع العذار و غرق فيها ليه و نهاره غير مبال بما يقال لأنما هو القائل: «دع عنك لومي فان اللوم اغراء». و تحب المرأة ان تستحب و تتواري من المسبة في هواها، ثم يغلبها هواها فإذا هي قد أقت حياءها للريح، و صنعت ما تحجم عنه التي لم تنازع نفسها قط في هوئي، و لم تشعر قط بوطأه الخجل و الاستدار. و اندفاع المتهجمين على الشر في حرب كربلاء بغير داع من الحفيظة و لا ضرورة ملزمة تقضي بها شريعة القتال، فهو الاندفاع الذي يسر لنا عمق الشعور بالاثم في نفوس أصحاب يزيد. و قد رأينا من قبل عمق الشعور بالحق في أصحاب الحسين، و ما بنا من حاجة الى البحث عن علة مثل هذه العلة لمن خلقوا مجرمين و خلقت معهم ضراوة الحقد و الآيادء لهذا الميدان و غير هذا الميدان، كشمر بن ذي الجوشن، و من جرى مجراه... فهؤلاء لا يصنعون غير ضياعهم الأليم كلما وجدوا السبيل اليه. على أنها - بعد كل هذا - حرب بين الكرم و اللؤم، و بين الضمير و المعدة، و بين النور و الظلام... فشأنها على أية حال أن تصبح مجالاً من [صفحه ١٤١] الطرفين لقصارى ما يبلغه الكرم و قصارى ما يبلغه اللؤم، و قد بلغت في ذلك أقصى مدى الطرفين. و من المتذر بعد وقوف هاتين القوتين موقف المراقبة و المناجزة، أن تنتصى أولئك القتال و تتبع ترتيب الحوادث واحدة بعد واحدة على حسب وقوعها... فان الأقوال في سرد حوادث كربلاء لا تتفق على ترتيب واحد، سواء كان هذا الترتيب في رواية أنصار الحسين أو رواية أنصار يزيد. الا أن الترتيب الطبيعي يستتبع للعقل من سبب الوقوف في ذلك المكان، و هو منع الحسين أن ينصرف الى سبيله و أن يرد الماء حتى يكرهه العطش الى التسلیم، و كان الموقف كما وصفه أبوالعلاء بعد ذلك بأربعة قرون: منع الفتى هنا فجر عظاماً و حمى نمير الماء فانبعث الدم و لم

يمتنع طريق الماء في بادئ الأمر دفعه واحدة لأن حراس المورد من جماعة عمر بن سعد، لم يكونوا على جزم بما يصنعون في مواجهة [صفحه ١٤٢] الحسين و صحبه... فلما اندفع بعض أصحاب الحسين الى الماء بالقرب والأدوى، مانعهم القوم هنئه ثم أخلوا لهم سيل النهر خوفاً و حيرة، فشربوا و ملأوا قربهم و أدواهم بما يغينهم عن الاستقاء الى حين. و الظاهر أن الشر كله كان في حضور شمر بن ذي الجوشن على تلك الساخنة؛ متربصاً كل التربص بمن يتوانى في حصار الحسين و مضائقته فيعزله و يعرضه لسوء الجزاء، ثم يطبع من وراء ذلك أن يتولى قيادة الجيش و امارء الرى بعد عزل عمر بن سعد بن أبي وقار... فبطل التردد شيئاً فشيئاً، و تذر على الحسين و أصحابه بعد الهجمة الأولى أن يصلوا إلى الماء. و لبوا أياماً و ليس في معسكرهم ذو حياة من رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان الاـ... و هو يتلذذ على قطرة ماء فلا يبالها، و منهم الطفل العليل و الشيخ المكدوّد و الحيوان الأعجم، و صياغ هؤلاء الظماء من حرقة الظماء يتواли على مسمع الحسين ليل نهار و هو لا يملك لهم غير الوصاية بالصبر و حسن المؤاساة. و في ذلك المأزق الفاجع، نضحت طبائع اللؤم في معسكر ابن زياد بشر ما تنضح به طبيعة لئيمة في البنية الآدمية... فاقترفوا من خسأة الأذى ما تنزع عنه الوحش الضاريات، و جعلوا يتلهون و يتفكهون بما تقشعر منه الجلود و تندي له الوجوه، و نكاد نمسك عن تسطيره أسفراً و امتعاضاً لو لا أن القليل منه جزء لا ينفصل من هذه الفاجعة، و بيان لما يلى من وقعتها في النفوس و تسلسل تراثها إلى أمد بعيد... [صفحه ١٤٣]

ما تم مخزية

فمن هذه المآتم المخزية أن الحسين برح به العطش فلم يباله... و لكنه رأى ولده عبدالله يتلوى من ألمه و عطشه، و قد بع صوته من البكاء، فحمله على يديه يهم أن يسقيه و يقول للقوم: «أتقوا الله في الطفل ان لم تتقوا الله فينا» فأوتراً رجل من نبالة الكوفة قوسه، و رمى الطفل بسهم و هو يصبح ليسمعه العسكران: «خذ اسقه هذا»... فنفذ السهم إلى أحشائه!!!... و كانوا يصيحون بالحسين متهافين: «ألا ترى إلى الفرات كأنه بطون الحيات؟!... و الله تذوقه حتى تموت و من معك عطشا». و لما اشتد عطش الحسين دنا من الفرات ليشرب، فرمي حصين بن غير بسهم وقع في فمه... فانتزعه الحسين و جعل يتلقى الدم بيديه فامتلأ راحاته بالدم، فرمي به إلى السماء و قد شخص بيصره إليها و هو يقول: «ان تكون حبست عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير منه، و انتقم لنا من القوم الظالمين!» و قد كان منع الماء - قبل الترامي بالسهام - نذيراً كافياً بالحرب، يبيح الحسين أن يصيب منهم من يتعرض للاصابة... و لكنه رأى شمر بن ذي الجوشن - أبغض مبغضيه المؤليين عليه - يدنو من بيته و يجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليه، فأبى على صاحبه السلم بن [صفحه ١٤٤] عوسرجة أن يرميه بسهم و قد أمكنه أن يصمي و هو من أسد الرماة... لانه كره أن يبدأهم بعداء... و كأنه لمح منهم ضعف النيء و سوء الدخلة في الدفاع عن مولاه، و علم أنه لا يخلصون في حبه، و لا يؤمّنون بحقه، و أنهم يخدمونه للرغبة أو الرهبة و لا يخدمونه للحق و الذمة... فطبع أن يقع ضمائركم و ينبع غفلة قلوبكم، و رمى بآخر سهم من سهام الدعوة قبل ان يرمي بسهم واحد من سهام القتال. فخرج لهم يوماً بزى جده عليه السلام متقدلاً سيفه لابساً عمامة و رداءه، و أراهم أنه سيخطبهم، فكان أول ما صنعواه دليلاً على صدق فراسته فيهم، لأن رؤسائهم و مؤليهم أشفقوا أن يتركوا له آذان القوم فينفذ إلى قلوبهم و يلمس موقع الاقناع من أبابهم. فضجوا بالصياح و الجلبة و أكثروا من العجيج و الحرارة ليحججوها كلامه عن أسمائهم و يتقوّى أثر مواعظه فيهم، و هو بتلك الهيئة التي تغضي عنها الأ بصار و تعنوا لها الجبار... و لكنه صابرهم حتى ملوا، و مل أخوانهم ضجيجهم هذا الذي يكشفون به عن عجزهم و خوفهم، و لا يوجب الثقة بدعواهم عند أخوانهم... فهدأوا بعد لحظات و سمعوا بعد الحمد و الصلاة: «أنسبوني من أنا... هل يحل لكم قتلى و انتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نيك؟... أو لم يبلغكم ما قاله رسول الله لى و لأخرى: هذان سيداً شباباً أهل الجنّة؟ و يحكم؟... أتطلبونني بقتيل لكم قتلته أو مال لكم استهلكته؟. [صفحه ١٤٥] ثم نادى بأسماء أنصاره الذين استدعوه إلى الكوفة ثم خرجوا لحربه في جيش ابن زياد. فقال: «يا شيث بن الربعي! يا حجار بن أبحر! يا قيس بن الأشعث! يا يزيد بن الحارث! يا عمر بن الحجاج!... ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الشمار و اخضرت الجنبات، و انما تقدم على جند لك مجند؟... فزلزلت الأرض تحت أقدامهم

بهذه الكلمات وبلغ بها المقنع ومن فيه مطعم لاقناع، وتحولت الى صفة فئة تعلم أنها تحول الى صف لن تجد فيه غير الموت العاجل، واستطابت هذا الموت ولم تستطع البقاء مع ابن زياد لاغتنام الغنيمة وانتظار الجزاء من المناصب والاموال. ولم تكن كلمة الحسين كل ما شهده عسكره من سلاح الدعوة قبل الاختدام الى السيف... فقد كانت للبطل المجيد زهير بن القين كلمات في أهل الكوفة أمضى من السيوف والرماح حيث تصيب، فركب فرسه و تعرض لهم قائلاً: «يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار، ان حقا على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة و كنا نحن أمة وأنتم أمة... ان الله قد ابتلانا و ايهاكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه و آله وسلم لينظر ما نحن و أنت عاملون، وانا ندعوك الى نصر حسين و خذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما الا سوءاً: يسلمان أعينكم، و يقطعان أيديكم و أرجلكم و يمثلان [صفحة ١٤٦] بكم، ويرفعانكم على جذوع النحل و يقتلان أماثلكم و قراءكم أمثال حجر بن عدى و أصحابه و هانئ بن عروة و أشباحه». فوجم منهم من وجم، و توقع منهم من توقع، على دين المريض المكابر اذا خلع العذار و لم يأنف من العار، و توعدوه و توعدوا الحسين معه أن يقتلوهم صاغرين الى عبيد الله بن زياد.

تخاذل و ضعف

و لا يظهر من عدد الفريقين ساعة القتال أن المتحولين الى معسكر الحسين كانوا كثيرين أو متلاحقين. ولكن بدأءة التحول كانت مما يخيف و يزعج، لأنها اشتغلت على قائد كبير من قواد ابن زياد هو الحر بن يزيد الذي أرسلوه في أول الأمر ليحلوا الحسين عن دخول الكوفة، وقد كان يحسب أن عمله ينتهي الى هذه المراقبة و لا يعودها الى القتال و سفك الدم... فلما تبين نية القتال، أقبل يدنو نحو عسكر الحسين قليلاً- قليلاً و تأخذه رعدة و يتباهه ألم شديد... حتى راب أمره صاحبه المهاجر بن أوس فقال له:- و الله ان امرک لمريض... ما رأيت منك قط مثل ما أراه الآن، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة ما عدوك... فباح له الرجل بما في نفسه وقال له: [صفحة ١٤٧] - انى أخير نفسي بين الجنة و النار، و لا أختار على الجنة شيئاً و لو قطعت أو حرقـت... ثم ضرب فرسه، و لحق بالحسين و هو يعتذر قائلاً:- لو علمت أنهم ينتهون الى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، و انى قد جئتكم تائباً مما كان مني الى ربى، مؤاسيا لك بنفسك حتى أموت بين يديك!... و لن يخلو معسكر ابن زياد من مئات كالحر بن يزيد يؤمنون ايمانه و يودون لو يلحقون به الى معسكر الحسين، و يزعجهم أن يتحول أمامهم الى المعسكر و هم ناظرون اليه، لأنه يبكيتهم و يكشف مغالطتهم بينهم و بين أنفسهم و يحضارهم على الاقداء به و التدبر في أسباب ندمه، لا لأنه ينقص عددهم أو ينذر بالهزيمة في ميدان القتال... فكلهم و لا ريب يشعر بشعوره و يعتقد في فضل الحسين على يزيد مثل اعتقاده، و بعيد على العقل أن يصدق في هؤلاء الشراذم أنهم قد أطاعوا يزيد لأنه صاحب بيعة حاصلة و أنهم قد «تأدوا بأدب الدولة» أدباً يغلب شعور الجماعة و ايمان المرء بحق الشريعة و حرمة البيت النبوي، و يهون عليه قتل سبط النبي في هذا السبيل، و كيف و ان منهم لمن بايع الحسين على بعد و دعاه اليه لبقوه «الجند المجندة» الى قتال يزيد؟ فكلامهم في البيعة الحاصلة لغط يلو كونه بالستتهم و لا يستر ما في طويتهم، و ليس أثقل على أمثال هؤلاء من عباء المغالطة كلما تلجلج في مكانه و حركته القدوة التي [صفحة ١٤٨] يريدونها و لا يقوون عليها، كتلك القدوة المائلة بصاحبهم الحر بن يزيد. لا جرم كان أعظم الجيشين قلقاً و أشد هما حيرة و أجعلهما الى طلب الخلاص من هذا المأزق الشغيل هو أكبر الفئتين و أقوى العسكريين...

شجاعة جند الحسين

كان هناك عسكران احدهما صغير يلح عليه العطش والضيق، و لكنه كان مطمئناً الى حقه يلقى الموت في سبيله و يزيد عليه العطش والضيق طمأنينة الى هذا المصير... و العسكرية الآخر أكبر العسكريين و لكنه كان «يخون» نفسه في ضمير كل فرد أفراده، و تملكه الحيرة

بين ندم و خوف و تبكيت و مغالطة و اضطراب، يحز في الأعصاب و يقذف المرء إلى الخلاص كيما كان الخلاص... و طال القلق على دخيلة عمر بن سعد فأطلقه سهما في الفضاء كأنه كان متسبباً بصدره فاستراح منه بانطلاقه... فرحف إلى مقربة من معسكر الحسين، و تناول سهماً فرماه عن قوسه إلى المعسكر و هو يصبح:- أشهدوا لي عند الأمير انتي أول من رمى الحسين... ثم تتبع السهام فبطلت حجة السلم و ذهب كل تأويل في نية القوم، [صفحة ١٤٩] و قال الحسين و هو ينظر إلى السهام و ينظر إلى أصحابه:- قوموا يا كرام فهذه رسل القوم اليكم. و بذلك بدأ القتال... و قد تأهب الحسين لهذه المنازلة المنتظرة، و ان كان على انتظاره ايها قد تريث حتى يبدأه بالعدوان من جانبهم، و حتى يجب عليه الدفاع وجوباً لا خلاف فيه... فاختار له راية يحتمي بها من ورائه، و وسّع و هدتها حتى أصبحت خندقاً لا يسهل عبوره... فأوقد فيه النار ليمعن عليهم الالتفاف به من خلفه، و هم في كثرتهم التي ترجع عدّة صحبه ستين ضعفاً قادرون على مهاجمته من جميع نواحيه. و كان معه اثنان و ثلاثون فارساً و أربعون راجلاً... و هم نيف وأربعة آلاف يكثرون فيهم الفرسان و راكبو الابل و يحملون صنوفاً مختلفة من السلاح... و مع هذا التفاوت البالغ في عدّة الفريقين، كان العسكر القليل كفؤاً للعسكر الكبير لو جرى القتال على سنة المبارزة التي كانت دعوة مجابة في ذلك العصر، اذا اختارها أحد الفريقين... فان آل على جميرا كانوا من أشهر العرب - بل من أشهر العرب و العجم - بالقوّة البدنية و الصبر على الجراح و الاضطلاع بعناء الحرب [صفحة ١٥٠] ساعات بعد ساعات، و منهم من كان يلوى الحديد فلا يقيمه غيره، و منهم محمد بن الحنفيه الذي صرع جباراً القوّة البدنية بين العرب و العجم في زمانه، و من أشهر هؤلاء الجبارات رجل كان في أرض الروم يفخر به أهله. فأرسله ملكهم إلى معاوية يعجز به العرب عن مصارعته و اتقاء بأسه. فجلس محمد بن الحنفيه و طلب من ذلك الجبار الرومي أن يقيمه، فكان كائناً يحرك جلاً لصلابة أعضائه و شدة أسره. فلما أقر الرجل بعجزه رفعه محمد فوق رأسه ثم جلد به الأرض مرات. و الحسين رضي الله عنه عنه قد كان هو و من معه من شباب آل على ممن ورث هذه القوّة البدنية كما ورثوا ثبات الجيش و حمية الفداء، و كانوا كفؤاً لمبارزة الأنداد واحداً بعد واحد حتى يفرغ جيش عبيد الله من فرسانه القادرين على المبارزة، و لا يبقى منهم غير الهمل يتبددون في منازلة الشجعان، كما تبدد السائمة المذعورة بالعراء... و كان مع الحسين نخبة من فرسان العرب كلهم لهم شهرة بالشجاعة و البأس و سداد الرمي بالسهم و مضاء الضرب بالسيف، و لن تكون صحبة الحسين غير ذلك بداعه و تقديرها لا يتوقفان على الشهرة الذائعة و الوصف المتواتر، لأن مزاملة الحسين في مثل تلك الرحلة هي وحدتها آية على الشجاعة في ملاقاء الموت و كرم التحيز في ملاقاة الفتنة و الاغراء... فإذا جرى القتال كله مبارزة بين أمثال هؤلاء و من يبرزون لهم من جيش عبيد الله، فهم كفاء للمنازلة و ليس أملهم في الغلب بضعيف. [صفحة ١٥١] و قد بدأ القتال بهجوم الخيل من قبر جيش ابن زياد، فأشرع أصحاب الحسين لها رماحهم و جنوا على الركب يتظرونها فلم تقم الخيل للرماح و أوشكت أن تعجل مولية بفرسانها... فعدل الفريقان إلى المبارزة، فلم يتعرض لها أحد من جيش ابن زياد الا-فشل أو نكس على عقيبه، فخشى رؤوس الجيش عقبى هذه المبارزة التي لا- أمل لهم في الغلبة بها، و صاح عمر بن الحاجاج برفاقه:- أتدرون من تقاتلون؟... تقاتلون فرسان مصر و قوماً مستميتين. لا يبرز اليهم منكم أحد فانهم قليل... لو لم ترمونهم الا بالحجارة لقتلتكموه... فاستصوب عمر بن سعد مقاله، و نهى الناس عن المبارزة... فلما بُرِزَ عابس بن أبي شيبة الشاكرى بعد ذلك و تحداهم للمبارزة، تحاموا لشجاعته و وقفوا بعيداً منه. فقال لهم عمر:- أرمونه بالحجارة... فرمونه من كل جانب... فاستمات و ألقى بدرعه و مغفره و حمل على من يليه، فهزمه و ثبت لجموعهم حتى مات. و عجزت خيل القوم مع كثرتها عن مقاومة خيل الحسين، و هي [صفحة ١٥٢] تتكشف كل ساعة عن فارس قتيل... فبعث عروة بن قيس مقدم الفرسان في جيش ابن زياد يقول لعمر بن سعد: لا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة؟... ابعث اليهم الرجال و الرماة» فبعث اليه بخمسة من الرماة و على رأسهم الحسين بن نمير، فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتى عقروا الخيل و جرحاً الفرسان و الرجال. و كان أبوالشعثاء يزيد بن زياد الكندي من عدل إلى جيش الحسين و هو من أشهر رماة زمانه. فلما تكاثر عليهم رمي النبل و السهام، جثا بين يدي الحسين و أرسل مائة سهم لم يكدر يخيب منها خمسة أسمهم... و قاتل حتى مات... و كان الذين عدلوا إلى عسكر الحسين أشد أنصاره عزماً في القتال و هجمة على

الموت، و منهم الحر بن يزيد الذى تقدم ذكره. فجاهد ما استطاع ليقن أصحابه الاولين بالكاف عن حرب الحسين أو بالعدول الى صفة... و قام على فرسه يخطب أهل الكوفة و يزجرهم، فسكنوا هنيهة ثم رشقوه بالنبل فعقرها فرسه و جرحوه... فما زال يطلب الموت و يتحرى من صفوهم أكتفها جمعا و أقتلها نبل حتى سقط مثخنا بالجراح و هو ينادي الحسين: «السلام عليكم يا أبا عبد الله». و لم يكن من أصحاب الحسين الا من يطلب الموت و يتحرى موقعه و أهدافه... فكان نافع بن هلال البجلي يكتب اسمه على أفواه نيله و يرسلها فيقتل بها و يجرح، و قلما يخطئ مرمي. فأحاطوا به و ضربوه [صفحة ١٥٣] على ذراعيه حتى كسرتا، ثم أسروه و الدم يسيل من وجهه و يديه، فحسبوه يلين للوعيد و يرجع من التمثيل به، فأسمعهم ما يكرهون و راح يسترید غيظهم و يقول لهم: «لقد قلت منكم اثنى عشر رجلاً سوی من جرحت، ولو بقيت لى عضد و ساعد لزدت».

مصرع الحسين

و استهدف الحسين رضى الله عنه لأقواس القوم و سيفهم، فجعل أنصاره يحمونه بأنفسهم و لا يقاتلون إلا بين يديه. و كلما سقط منهم صريح، أسرع إلى مكانه من يخلفه ليلقى حتفه على أثره. فضاقت الفئة الكثيرة بالفئة القليلة، و سول لهم الضيق بما يعانون من ثباتها أن يقوضوا الأخيبة التي أwoo إليها النساء و الأطفال ليحيطوا بالعسكر القليل من جميع جهاته. ثم أخذوا في احرارها، و أصحاب الحسين يصدونهم و يدافعونهم، فرأى رضى الله عنه أن استغلال أصحابه بمنعهم يصرفهم عن الاستغلال بقتالهم، فقال لهم: -دعوهم يحرقونها... فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا اليكم منها... و ظل على حضور ذهنه و ثبات جاؤه في تلك المحن المترابطة التي تعصف بالصبر و تطيش بالأطباب... و هو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم و الدم، و لا ينهض به إلا أولو العزم من أشد من يلد آدم و حواء. [صفحة ١٥٤] فانه رضى الله عنه كان يقاري جهد العطش و الجوع و السهر و نزف الجراح و متابعة القتال، و يلقى باله إلى حركات القوم و مكائدتهم، و يدبر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات و يتقوون به تلك المكائد، ثم هو يحمل بلاءه و بلاءهم... و يتکاثر عليه و قر الأسى لحظة بعد لحظة كلما فجع بشهيد من شهدائهم. و لا يزال كلما أصيب عزيز من أولئك الأعزاء حمله إلى جانب اخوانه و فيهم رقم ينazuهم و ينazuونه و ينسون في حشرجة الصدور ما هم فيه... فيطلبون الماء و يحز طلبهم في قلبه كلما أعياه الجواب، و يرجع إلى ذخيرة بأسه فيستمد من هذه الآلام الكاوية عزما يناهض به الموت و يعرض به عن الحياة... و يقول في أثر كل صريح: «لا خير في العيش من بعدك» و يهدف صدره لكل ما يلقاه... و انه لفري هذا كله، و بعضه يهد الكواهل و يقصم الأصلاب... اذا بالرماح و السيف تنوشه من كل جانب، و اذا بالقتل يتعدى الرجال المقاتلين إلى الأطفال و الصبيان من عترته و آل بيته، و سقط كل من معه واحدا بعد واحد فلم يبق حوله غير ثلاثة يناضلون دونه و يتلقون الضرب عنه، و هو يسبقهم و يأذن لمن شاء منهم أن ينجو بنفسه و قد دنت الخاتمة و وضع المصير... و كان غلام من آل الحسين - هو عبدالله بن الحسن أخيه - ينظر من الأخيبة، فرأى رجالا يضرب عمبه بالسيف ليصييه حين أخطأ زميلا، فهروي الغلام إلى عممه و صاح في براءة بالرجل: [صفحة ١٥٥] - يا ابن الخبيثة... أُقتل عمى؟ فعمده الرجل بالسيف يريد قتله الغلام ضربته بيده فانقطعت و تعلقت بجلدها... فاعتنقه عممه و جعل يواسيه و هو مشغول بدفع من يليه... ثم سقط الثلاثة الذين بقوا معه، فانفرد وحده بقتال تلك الزحوف المطبقه عليه. و كان يحمل على الذين عن يمينه فيتفرقون، و يشد على الخيل راجلا و يشق الصدوف وحيدا، و بها به القربيون فيبتعدون، و بهم المتقدمون بالاجهاز عليه ثم ينكصون... لأنهم تحرجوا من قتله، و أحب كل منهم أن يكفيه غيره مبغية و زرها، فغضب شمر بن ذي الجوشن و أمر الرماة أن يرشقوه بالنبل من بعيد، و صاح بمن حوله: - و يحكم!... ماذا تنتظرون بالرجل؟... اقتلوا ثكلتكم أمها لكم... فاندفعوا إليه تحت عيني شمر مخافة من و شaitه و عقابه... و ضربه زرعة بن شريك التميمي على يده اليسرى فقطعها، و ضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه، ثم جعل يقوم و يكبوا و هم يطعنونه بالرماح و يضربونه بالسيف حتى سكن حراكه، و وجدت بعد موته رضوان الله عليه ثلاثة و ثلاثون طعنـة و أربع و ثلاثون ضربـة غير اصابـة النـبل و السـهام، و أحصـاها بعـضـهم في ثـيـابـه فـاـذا هـيـ مـائـةـ وـ عـشـرينـ. [صفحة ١٥٦] و نـزـلـ خـوليـ بنـ يـزيدـ

الأصبعي ليحتر رأسه، فملكته رعدة في يديه و جسده، فنحاه شمر و هو يقول له:- فت الله في عضدك!...و احتز الرأس و أبي الا أن يسلمه اليه في رعدته، سخرية به و تمادي في الشر، و تحديا به لمن عسى أن ينعاه عليه! و قضى الله على هذا الخبيث الوضر أن يصف نفسه بفعله و صفا لا- يطرق الشك و الاتهام، فكان ضغنه هذا كله ضغنا لا معنى له و لا باعث اليه الا أنه من أولئك الذين يخزيهم اللؤم فيسلفهم بعض السلوى أن يؤلموا به الكرام، و يجعلوه تحديا مكسوفا كأنه معرض للزهو و الفخار، و هم يعلمون أنه لا يفخر به و لا يزهى! و لكنهم يبلغون به مأربهم اذا آلموا به من يحس فيهم الضعف و العار... و بقيت ذروة من الحمية يرتفع اليها مرتفع... و بقيت و هدة من الخسأة ينحدر اليها منحدرون كثيرون... فلم يكن في عسكر الحسين كله الا رقم واحد من الحياة باق في رجل طعين مشخن بالجراح، تركوه و لم يجهزوا عليه لظفهم أنه قد مات... ذلك الرجل الكريم هو سعيد بن أبي المطاع أصدق الأنصار و أ Nigel الأبطال...] صفحه ١٥٧ [فأبي الله لهذا الرمق الضعيف أن يفارق الدنيا بغير مكرمة يتم بها مكرمات يومه، و تشتمل عليها النفوس الكثيرات فإذا هي حسبها من شرف مجد و ثناء... تندى القوم بمصرع الحسين بلغت صيحتهم مسمعه الذي أثقله التزع و أوشك أن يجهل ما يسمع. فلم يخطر له أن يسكن لينجو و قد ذهب الأمل و حم الختام، و لم يخطر له انه ضعيف متزوف يعجل به القوم قبل أن ينال من القوم أهون منال، و لم يحسب حساب شيء في تلك اللحظة العصيبة الا أن يجاهد في القوم بما استطاع، بالغا ما بلغ من ضعف هذا المستطاع... فالتمس سيفه فإذا هم قد سلبوه، و نظر الى شيء يجاهد به فلم تقع يده الا على مدية صغيرة لا غباء بها مع السيوف و الرماح... و لكنه قع بها و غالب الوهن و الموت، ثم و ثب على قدميه من بين الموتى و ثبة المستيئ الذي لا يفر من شيء ولا يبالى من يصيب و ما يصاب. فتولاهم الذعر و شلت أيديهم التي كانت خليقة أن تمتد اليه، و انطلق هو يشنخ فيهم قتلا و جرح حتى أفاقوا له من ذعرهم و من شغلهم بضجتهم و غنيمتهم. فلم يقووا عليه حتى تعاون على قتل رجلان... فكان هذا حقا هو الكرم و المجد في عسكر الحسين الى الرمق الاخير. [صفحه ١٥٨]

خمسة و وحشية

و كان حقا لا- مجازا ما توخيناه حين قلنا انها طرفان متناقضان و أنها حرب بين أشرف ما في الانسان. في بينما كان الرجل في عسكر الحسين ينهض من بين الموتى و لا- يضن بالرمق الاخير في سبيل ايمانه، اذا بالآخرين يقترون أسوأ المآثم في رأيهم - قبل رأى غيرهم - من أجل غنية هينة لا تسمن و لا تغنى من جوع. فلو كان كل ما في عسكر الحسين ذهبا و درا لما أغنى عنهم شيئا و هو قرابـة أربعة آلاف... و لكنهم، ما استيقنوا بالعقوبة - قبل أن يسلم الحسين نفسه الأخير - حتى كان همهم الى الاسلاـب التي يطلبونها حيث وجدوها، فأهـروا الى النساء من بيت رسول الله ينـازعنـهنـ الحلـى و الثـيـابـ التيـ عـلـىـ أجـسـادـهـنـ، لاـ يـزـعـهـمـ عنـ حـرـمـاتـ رسولـ اللهـ واـزـعـ منـ دـيـنـ أوـ مـرـوـءـةـ. وـ انـقـلـبـواـ الىـ جـهـةـ الحـسـينـ يـتـخـطـفـونـ ماـ عـلـيـهـاـ منـ كـسـاءـ تـخـلـلـهـ الطـعـونـ حتـىـ اوـ شـكـواـ أـنـ يـتـرـكـوـهـاـ عـلـىـ الـأـرـضـ عـارـيـةـ، لـوـلاـ سـراـويـلـ لـبـسـهـاـ رـحـمـهـ اللهـ مـمزـقـةـ وـ تـعـدـ تـمـزـيقـهـاـ لـيـتـرـكـوـهـاـ عـلـىـ جـسـدـهـ وـ لـاـ يـسـلـبـوـهـاـ. ثـمـ نـبـدـواـ عـشـرـةـ منـ الفـرـسانـ يـوـطـئـونـ جـثـتهـ الخـيلـ كـمـاـ أـمـرـهـ اـبـنـ زـيـادـ، فـوـطـئـوـهـاـ مـقـبـلـينـ وـ مـدـبـرـيـنـ حـتـىـ رـضـواـ صـدـرـهـ وـ ظـهـرـهـ. وـ قـدـ يـسـاقـ الغـنـمـ هـنـاـ مـعـذـرـةـ لـلـأـثـمـ بـالـأـلـمـ بـالـغـاـيـةـ عـلـىـ الـعـظـمـ، وـ بـالـغـاـيـةـ مـاـ بـلـغـ ذـلـكـ مـنـ التـفـاهـةـ. لـكـنـهـمـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ قـدـ وـلـعـواـ بـالـشـرـ لـلـشـرـ مـنـ غـيـرـ ماـ طـعـمـ فـيـ مـغـنـمـ كـبـيـراـ أوـ صـغـيرـ. فـحـرـمـواـ الـرـىـ عـلـىـ الطـفـلـ الـظـامـيـ [صفحه ١٥٩] العـلـيـلـ وـ أـرـسـلـوـاـ إـلـىـ أـحـشـائـ السـهـامـ بـدـيـلـاـ مـنـ المـاءـ، وـ قـتـلـوـاـ مـنـ لـاـ غـرـضـ فـيـ قـتـلـهـ وـ روـعواـ مـنـ لـاـ مـكـرـمـةـ فـيـ تـرـوـيـعـهـ... فـرـبـماـ خـرـجـ الطـفـلـ مـنـ الـأـخـيـةـ نـاظـرـاـ وـ جـلـاـ لـيـفـقـهـ مـاـ يـجـرـىـ حـولـهـ، فـيـنـقـضـ الـفـارـسـ الـرـامـحـ فـوـقـ فـرـسـهـ وـ يـطـعـنـهـ الطـعـنةـ الـقـاضـيـةـ بـمـرـأـيـ منـ الـأـمـ وـ الـأـخـتـ وـ الـعـمـةـ وـ الـقـرـيـةـ، وـ لـمـ تـكـنـ فـيـ الـذـيـ حدـثـ مـنـ هـذـاـ القـبـيلـ مـبـالـغـةـ يـزـعـمـونـهـاـ كـمـاـ زـعـمـ أـجـراءـ الـذـمـمـ بـعـدـ ذـلـكـ عـنـ حـوـادـثـ كـرـبـلـاءـ وـ جـرـائـ كـرـبـلـاءـ. فـقـدـ قـتـلـ فـعـلـاـ فـيـ كـرـبـلـاءـ كـلـ كـبـيـرـ وـ صـغـيرـ مـنـ سـلـالـةـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ، وـ لـمـ يـنـجـ منـ ذـكـورـهـمـ غـيرـ الصـبـىـ عـلـىـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ.. وـ فـيـ ذـلـكـ يـقـولـ سـرـاقـةـ الـبـاهـلـىـ: عـيـنـ جـودـيـ بـعـرـةـ وـ عـوـيـلـ وـ اـنـدـىـ مـاـ نـدـبـتـ آـلـ الرـسـولـ سـبـعـةـ مـنـهـمـ لـصـلـبـ عـلـىـ قـدـ أـيـدـواـ وـ سـبـعـةـ لـعـقـيلـ وـ مـاـ نـجاـ عـلـىـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ الـأـبـعـدـ مـنـ أـعـجـابـ الـمـقـادـيرـ، لـأـنـهـ كـانـ مـرـيـضاـ عـلـىـ حـجـورـ

النساء يتوقعون له الموت هامة اليوم أو غد، فلما هم شمر بن ذي الجوشن بقتله، نهاد عمر بن سعد عنه أما حياء من قرابة الرحم أمام النساء - وقد كان له نسب يجتمع به في عبده مناف - وأما توقعوا لموته من السقم المضنى الذي مان يعانيه.. فنجا بهذه الأعجبوبة في لحظة عابرة، وحفظ به نسل الحسين من بعده، ولو لا ذلك لباد. [صفحة ١٦٠] ثم قطعوا الرؤوس ورفعوها أمامهم على الحرب، وتركوا الجثث ملقأة على الأرض لا يدفنونها ولا يصلون عليها كما صلوا على جث قتلاهم... ومرروا بالنساء حواسر من طريقها فولون باكيات وصاحت زينب رضى الله عنها: يا محمدا!.. هذا الحسين بالعراء وبناتك سبايا وذرتك مقتلة تقسى عليها الصبا.. فوجم القوم مبهوتين وغابت دموعهم قلوبهم. فبكى العدو كما بكى الصديق!.. لم تنقض في ذلك اليوم خمسون سنة على انتقال النبي محمد عليه السلام من هذه الدنيا إلى حظيرة الخلود: محمد الذي بر بدينهم ودنياهم فلم ينقل من الدنيا حتى نقلهم من الظلمة إلى النور، و من حياة التي في الصحراء إلى حياة عامرة يسودون بها أمم العالمين ثم هذه خمسون سنة لم تنقض بعد، و إذا هم في موكب جهير يجوب الصحراء إلى مدينة بعد مدينة: سباياه بنات محمد حواسر على المطايا وأعلامه رؤوس أبنائه على الحراب، وهم داخلون بهدخول الظافرين! او بقيت الجث حيث نبذوها بالعراء «تسفى عليها الصبا» فخرج لها مع الليل جماعة من بنى أسد كانوا يتزلون بتلك الأنحاء... [صفحة ١٦١] فلما أمنوا العيون بعد يوم أو يومين سروا مع القمراء إلى حيث طلت بهم على منظر لا يطلع القمر على مثله - شرفاً ولا وحشة - في الآباد بعد الآباد... و كان يوم المقتل في العاشر من المحرم... فكان القمر في تلك الليلة على وشك التمام.. فحرروا القبور على ضوئه، وصلوا على الجث ودفواها، ثم غادروها هناك في ذمة التاريخ. في اليوم مزار يطيف به المسلمون متفقين و مختلفين، و من حقه أن يطيف به كل انسان، لأنه عنوان قائم لأقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي بين سائر الأحياء. فما أطلت قبلة السماء مكاناً لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب بما حوطه من معنى الشهادة وذكرى الشهداء.. [صفحة ١٦٣]

جزيء كربلاء

موطن الرأس

اتفقت الأقوال في مدفن جسد الحسين عليه السلام، و تعددت أيماء تعدد في موطن الرأس الشريف.. فمنها أن الرأس قد أعيد بعد فترة إلى كربلاء فدفن مع الجسد فيها.. و منها أنه أرسل إلى عمرو بن سعيد بن العاص و إلى يزيد على المدينة، فدفنه بالبيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء.. و منها أنه وجد بخزانة ليزيد بن معاوية بعد موته، فدفن بدمشق عند باب الفراديس... و منها أنه كان قد طيف به في البلاد حتى وصل إلى عسقلان، فدفنه أميرها هناك و بقى بها حتى استولى عليها الأفرنج في الحرب الصليبية.. فبذل هم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمصر ثلاثين ألف درهم على أن ينقله إلى القاهرة حيث دفن بمشهد المشهور. قال الشعراي في طبقات [صفحة ١٦٤] الأولياء: «ان الوزير صالح بن رزيك خرج هو و عسكره حفاة إلى الصالحية، فتلقي الرأس الشريف و وضعه في كيس من الحرير الأخضر على كرسى من الأبنوس و فرش تحته المسك و العنبر و الطيب، و دفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي في القبر المعروف». و قال السائح الheroى في الإشارات إلى أماكن الزيارات: «و بها - أى عسقلان - مشهد الحسين رضى الله عنه: كان رأسه بها، فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة سنة تسع وأربعين و خمسماة». و في رحلة ابن بطوطة أنه سافر إلى عسقلان «و به المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن على عليه السلام، قبل أن ينقل إلى القاهرة». و ذكر سبط بن اجوزى فيما ذكر من الأقوال المتعددة أن الرأس بمسجد الرقة على الفرات، وأنه لما جيء به بين يدي يزيد بن معاوية قال: «لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان» و كانوا بالرقية، فدفونوه في بعض دورهم ثم دخلت تلك الدار بالمسجد الجامع، و هو إلى جانب سوره هناك. فالأماكن التي ذكرت بهذا الصدد ستة في ست مدن هي: المدينة، و كربلاء، و الرقة، و دمشق، و عسقلان، و القاهرة، و هي تدخل في بلاد الحجاز و العراق و الشام و بيت المقدس و الديار المصرية. و تقاد [صفحة ١٦٥] تشتمل على مداخل العالم الإسلامي

كله من وراء تلك الأقطار، فان لم تكن هي الأماكن التي دفن فيها رأس الحسين فهى الأماكن التى تحيا بها ذكرى الامراء. وللتاريخ اختلافات كثيرة، نسميتها بالاختلافات اللغظية أو العرضية، لأن نتيجتها الجوهرية سواء بين جميع الأقوال، و منها الاختلاف على مدفن رأس الحسين عليه السلام. فأيا كان الموضع الذى دفن به ذلك الرأس الشريف، فهو فى كل موضع أهل للتعظيم والتشريف. و انما أصبح الحسين - بكرامة الشهادة و كرامة البطولة و كرامة الأسرة النبوية - معنى يحضره الرجل فى صدره و هو قريب أو بعيد من قبره. و ان هذا المعنى لفى القاهرة، و فى عسقلان، و فى دمشق، و فى الرقة، و فى كربلاء، و فى المدينة، و فى غير تلك الأماكن سواء.

واقعة ابن زياد

و يقل الاختلاف أو يسهل التجاوز عنه كذلك فيما حدث بين فاجعة كربلاء و لقاء يزيد...فالموتواتر الموافق لسير الأمور أنهم حملوا الرؤوس و النساء الى الكوفة، فأمر ابن زياد أن يطاف بها فى أحياء الكوفة ثم ترسل الى يزيد. و كانت فعلة يدارونها بالتوقع فيها على سنة الماخوذ الذى لا يملك [صفحة ١٦٦] مداراة ما فعل. فبات خولى بن يزيد ليته بالرأس فى بيته، و هو يمنى نفسه بمعنى الدهر كما قال. فأقسمت امرأة له حضرمية: «لا يجمع رأسها و رأسه بيت و فيه رأس ابن رسول الله». ثم غدا الى قصر ابن زياد و كان عنده زيد بن أرقم من أصحاب رسول الله... فرأاه ينكث ثانياً الرأس حين وضع أمامه فى أجانة، فصاح به مغضباً: ارفع قضيبك عن هاتين الشتتين فوالذى لا اله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما.. و بكى... فهزىء به ابن زياد و قال له: - لو لا أنك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك، لضربت عنقك! فخرج زيد و هو ينادي فى الناس غير حافل بشيء: - أنتم معاشر العرب العبيد بعد اليوم... قلتتم ابن فاطمة و آثرتم ابن مرجانة، فهو يقتل شراركم و يستعبد خياركم. و أدخلت السيدة زينب على رضى الله عنها، و عليها أرذل ثيابها و معها عيال الحسين و اماؤها.. فجلست ناحية لا- تتكلم و لا- تنظر الى ما أمامها. فسأل ابن زياد: - من هذه التي انحازت ناحية و معها نساوها؟ [صفحة ١٦٧] فلم تجبه.. فأعاد سؤاله ثلاثة و هي لا تجيه، ثم أجبت عنها احدى الاماء: - هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فاجترأ ابن زياد قائلاً: - الحمد لله الذي فضحك و قتلوك و أبطل أحدوثكم... و قد كانت زينب بنت فاطمة بنت رسول الله عنها حقاً جديرة بنسبها الشريف في تلك الرحلة الفاجعة التي تهد عزائم الرجال... كانت كأشجع و أرفع ما تكون حفيدة محمد بنت على و أخت الحسين. و كتب لها أن تحفظ بشجاعتها و تصحيتها بقيمة العقب الحسيني من الذكور... و لولاهما لا- تفرض من يوم كربلاء.. فلم تمهل ابن زياد أن ثارت به قائلة: - الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه و طهرا من الرجس تطهيرا.. إنما يفضح الفاسق و يكتنف الفاجر، و هو غيرنا و الحمد لله. فقال ابن زياد: - قد شفى الله نفسى من طاغيتك و العصاة. فغلبها الحزن و الغيظ من هذا التشفي الذى لا ناصر لها منه، و قالت: - لقد قتلت كهلى، و أبدت أهلى، و قطعت فرعى و احتشت [صفحة ١٦٨] أصلى، فان يشفك هذا فقد اشتفيت.. فتهاطف ابن زياد ساخرا و قال: - هذه سجاعة.. لعمري لقد كان أبوها سجاعا شاعرا. فقالت زينب: - ان لى عن السجاعة لشغلا.. ما للمرأة و السجاعة؟

على زين العابدين

ثم نظر ابن زياد غلام عليل هزيل مع السيدة زينب فسألها: - من أنت؟ قال: على بن الحسين. قال: أو لم يقتل الله على بن الحسين؟ قال: كان لى أخ يسمى عليا قتله الناس. فأعاد ابن زياد قوله: الله قتله. فقال على: الله يتوفى الأنفس حين موتها، و ما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله.. فأخذت زيداً الاثم و انتهر قائلاً: - و بك جرأة لجوابي! [صفحة ١٦٩] و صالح الخبيث الأثيم بجنده: - أذهبوا به فاضربوا عنقه... فجاشت بعمة الغلام قوة لا يردها سلطان، و لا يرهبها سلاح.. لأنها قوة من هان لديه الموت و هانت عليه الحياة، فاعتنتقت الغلام اعتناق من اعتزم ألا- يفارقه الا- و هو جثة هامدة، و أقسمت لئن قتلتة لتقتلني معه. فارتدى ابن زياد مشدوها و هو يقول متعجبًا: - يا للرحم.. انى لأظنها ودت أنى قتلتها معه.. ثم قال: «دعوه لما به».. كأنه حسب أن العلة قاضية عليه. و على هذا هو زين العابدين جد كل

منتب الى الحسين عليهما السلام، و كان كما قال ابن سعد في الطبقات: «ثقة كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا»، و كما قال يحيى بن سعيد: «أفضل هاشمي رأيته في المدينة».. و لولا استماتة عمه كما ترى، لقد كانت تذهب بهذه البقية الباقيه لمَّا على شفتي ابن زياد!

الرأس عند يزيد

ولما قضى الخليفة نهمة كيده من الطواف برأس الحسين في الكوفة وأرباضها، أنفذه ورؤوس أصحابه إلى دمشق مرفوعة على الرماح، ثم أرسل النساء والصبيان على الاقتاب، وفى الركب على زين العابدين مغلول إلى عنقه يقوده شمر بن ذى الجوشن ومحضر بن ثعلبة.. فتلا حق [صفحة ١٧٠] الركبان في الطريق ودخل الشام معاً إلى يزيد. و تكرر منظر القصر بالكوفة في قصر دمشق عند يزيد.. و لا تستغرب أن يتكرر بعضه حتى يظن انه قد وقع في التاريخ خلط بين المنظرين، لأن المناسبة في هذا المقام تستوحى ضربا واحدا من التعقيب و ضربا واحدا من الحوار.. فارتاع من مجلس يزيد من نبأ المقتلة في كربلاء حين بلغتهم، و قال يحيى بن الحكم و هو من الأمويين لهم بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل سميه أمسى نسلها عدد الحصى و بنت رسول الله ليست بذى نسل فأسكنته يزيد.. و قال و هو يشير إلى الرأس و ينكث ثناياه بقضيب في يده: (أتدرؤن من أين أتى هذا؟.. أنه قال: «أبى على خير من من أبيه و أمى فاطمة خير من أمه، و جدى رسول الله خير من جده و أنا خير منه و أحلى بهذا الأمر».. فاما أبوه فقد تجاج أبى و أبوه إلى الله و علم الناس أيهما حكم له، و أما أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمى، و أما جده فلعمري ما أحد يومن بالله و اليوم الآخر يرى. لرسول الله فيما عدلا ولا ندا، و لكنه أتى من قبل فقهه و لم يقرأ: قل اللهم [صفحة ١٧١] مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك من تشاء).. و هو كلام ينسب مثله إلى معاوية في رده على حجاج على في الخلافة.. و لعل يزيد قد استعاره من كلام أبيه و زاد عليه. و نظر بعض أهل الشام إلى السيدة فاطمة بنت الحسين - و كانت جارية و ضيئه - فقال ليزيد: «هـ لـ هـ» فأردعته و أخذت بثياب عمتها.. فكان لعمتها في الذود عنها موقف كموقفها بقصر الكوفة، ذيادة عن أخيها زين العابدين، و صاحت بالرجل: - كذبت و لؤمت... ما ذلك لك و لا له. فتغيظ يزيد و قال: «كذبت، ان ذلك لي.. و لو شئت لفعلت». قالت: «كلا و الله.. ما جعل الله لك ذلك، الا أن تخرج من ملتـنا و دينـنا». فاشتد غـيـظـ يـزـيدـ وـ صـاحـ بـهـ: «ـ ايـاـيـ تستـقـبـلـنـ بهـذاـ؟.. انـماـ خـرـجـ منـ الدـيـنـ اـبـوـكـ وـ اـخـوـكـ». قـالـتـ: «ـ بـدـيـنـ اللهـ وـ دـيـنـ اـبـيـ وـ اـخـيـ وـ جـدـيـ اـهـتـدـيـتـ اـنـتـ وـ اـبـوـكـ وـ جـدـكـ».. فـلـمـ يـجـدـ جـوابـاـ غـيرـ أـنـ يـقـولـ: «ـ بـلـ كـذـبـتـ يـاـ عـدـوـهـ اللهـ». قـالـتـ: «ـ أـنـتـ أـمـيـرـ تـشـتـمـ ظـالـلـاـ، وـ تـقـهـرـ بـسـلـطـانـكـ». فأـطـرـقـ وـ سـكـتـ.. [صفحة ١٧٢] وـ أـدـخـلـ عـلـىـ بنـ الحـسـينـ مـغـلـوـلـاـ. فـأـمـرـ يـزـيدـ بـفـكـ غـلـهـ وـ قـالـ لـهـ:ـ اـيـهـ يـاـ اـبـنـ الحـسـينـ...ـ اـبـوـكـ قـطـعـ رـحـمـ وـ جـهـلـ حـقـىـ وـ نـازـعـنـىـ سـلـطـانـىـ،ـ فـصـنـعـ اللهـ بـهـ ماـ رـأـيـتـ...ـ قـالـ عـلـىـ:ـ ماـ أـصـابـ مـنـ مـصـيـهـ فـيـ الـأـرـضـ وـ لـاـ فـيـ أـنـفـسـكـمـ الـاـ فـيـ كـتـابـ مـنـ قـبـلـ أـنـ نـبـأـهـ.ـ اـنـ ذـلـكـ عـلـىـ اللهـ لـيـسـيرـ،ـ لـكـيـلاـ تـأـسـواـ عـلـىـ مـاـ فـاتـكـمـ وـ لـاـ.ـ تـفـرـحـواـ بـمـاـ أـتـاـكـمـ وـ اللهـ لـاـ يـحـبـ كـلـ مـخـتـالـ فـخـورـ.ـ فـتـلـاـ يـزـيدـ الـآـيـهـ:ـ وـ ماـ أـصـابـكـمـ مـنـ مـصـيـهـ فـيـ بـيـانـهـ كـسـبـتـ أـيـديـكـ»ـ ثـمـ زـوـيـ وـ جـهـ وـ تـرـكـ خـطـابـهـ...ـ وـ كـانـ لـقـاءـ نـسـاءـ يـزـيدـ خـيـراـ مـنـ لـقـائـهـ...ـ فـوـاسـيـنـ السـيـدـةـ زـيـنـبـ وـ السـيـدـةـ فـاطـمـةـ وـ مـنـ مـعـهـ،ـ وـ جـعـلـ يـسـأـلـهـنـ عـمـاـ سـلـبـنـهـ بـكـرـبـلـاءـ فـيـ دـدـنـ الـيـهـنـ مـثـلـهـ وـ زـيـادـهـ عـلـيـهـ..ـ وـ أـحـبـ يـزـيدـ أـنـ يـسـتـدـرـكـ بـعـضـ مـاـ فـاتـهـ،ـ فـلـجـأـ عـلـىـ النـعـمـانـ بـنـ بـشـيرـ وـ الـهـ الـذـيـ عـزـلـهـ مـنـ الـكـوـفـةـ لـرـفـقـهـ بـدـعـةـ الـحـسـينـ..ـ وـ أـمـرـهـ أـنـ يـسـيـرـ آـلـ الـحـسـينـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـ يـجـهزـهـ بـمـاـ يـصـلـحـهـمـ.ـ وـ قـيلـ اـنـهـ وـ دـعـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ،ـ وـ قـالـ لـهـ:ـ لـعـنـ اللهـ اـبـنـ مـرـجـانـهـ...ـ أـمـاـ وـ اللهـ لـوـ أـنـيـ صـاحـبـ أـيـكـ مـاـ سـأـلـنـىـ خـصـلـةـ أـبـدـاـ الـأـعـطـيـتـهـ إـيـاهـ،ـ وـ لـدـفـعـ الـحـتـفـ عـنـهـ بـكـلـ مـاـ اـسـتـطـعـ وـ لـوـ بـهـلـاـكـ بـعـضـ وـلـدـيـ.ـ وـ لـكـنـ اللهـ قـضـيـ مـاـ رـأـيـتـ يـاـ بـنـىـ!..ـ كـاتـبـنـىـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ،ـ وـ أـنـهـ الـىـ حـاجـةـ تـكـونـ لـكـ»..ـ]

[صفحة ١٧٣]

تبعه يزيد

و الناس في تقدير التبعه التي تصيب يزيد من عمل ولاهه مشارب و أهواء، يرجع كل منهم إلى مصدر من مصادر الرواية فيبني عليه

حكمه. فمنهم من يرى انه برعى انه من التبعه كل البراءه.. و منهم من يرى أنه أقر فعله ابن زياد ثم ندم عليها.. و منهم من يقول أنه قد أمر بكل ما اقترفه ابن زياد و توقع حدوثه و لم يمنعه و هو مستطاع أن يمنعه لو شاء. و الثابت الذى لا جدال فيه، ان يزيدا لم يعاقب أحدا من ولادته كبر أو صغر على شيء مما اقترفوه فى فاجعة كربلاء، و ان سياسته فى دولته بعد ذلك كانت هي سياسة أولئك الولاة على وثيره واحده مما حديث فى كربلاء، فاستباحة المدينة - دار النبي عليه السلام - و تحكم مسلم ابن عقبة فى رجالها و نسائهم، ليست بعمل رجل ينكر سياسة كربلاء بفكرة و قبله، أو سياسة رجل تجرى هذه الحوادث على نقىض تدبيره و شعوره و مازال يزيد و أخلاقه يأمرن الناس بلعن على و الحسين و آلهما على المنابر فى أرجاء الدولة الإسلامية، و يستفتون من يفتيمهم باهدار دمهم و صواب عقابهم بما أصابهم و من تجب لعنته على المنابر بعد موته بستين، فقتله جائز أو واجب فى رأى لاعنيه. و من أفرط فى سوء الظن، رجح عنده أن عبيد الله بن زياد كان على [صفحه ١٧٤] اذن مستور بكل ما صنع، و يملئ هم فى هذا الظن أن استئصال ذرية الحسين من الذكور خطأ لهم يزيد لوارثة الملك فى بيته و عقبه، و يفيده أن يقدم عليها مسترا من وراء لاته ثم ينصل منها و يلقى ببعتها عليهم. و لو لم يكن ذلك لكان عجيبة ان توكل حياة الحسين و أبنائه و آله الى والى الكوفة بغير توجيه من سيده و مولاه. فقد كان الزمن الذى انقضى منذ خروج الحسين من مكة الى نزوله بالطف على الفرات كافيا لبلوغ الخبر الى يزيد و رجوع الرسل بالتوجيه الضروري فى هذا الموقف لوالى الكوفة و غيره من الولاء، فان لم يكن الأمر تدبيرا متفقا عليه فهو المساءة التى تلى ذلك التدبير فى السوء و الشناعة، و هي مسأة التهاون الذى لا تستقيم على مثله شئون دوله. و قد روى ابن شريح اليشكري أن عبيد الله صارحه بعد موت يزيد فقال: «اما قتلى الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله او قتلى فاخترت قته» و هو كلام متهم لا تقوم به حجة على غائب قضى نحبه.. و يبدو لنا أن الظن بتهاون يزيد هنا أقرب الى الظن بيعازه و تدبيره.. لأنه جرى عليه طوال حكمه و ألقى حبل و لاته على غاربهم و هو لا يصيده و عبه، و أنه ربما ارتأح فى سريرته بادىء الأمر الى فعلة ابن زياد و أغوانه.. و لكنه ما عتم أن رأى بوادر العاقب توشك أن تطبق عليه بالوبال من كل جانب، حتى تيقظ من غفلته بعد فوات الوقت فعمد الى المحاسنة و الاستدراك جهد ما استطاع، و لم يكن فى [صفحه ١٧٥] يقطنه على هذا متعصما بالحكمة و السداد.. و لقد رأى البوادر منه غير بعيد، و لما تنقض ساعات على ذيوع الخبر فى بيته قبل عاصمة ملكه.. فنعتى ابن الحكم فعلة ابن زياد، و ناح نساوه مشفقات من هول ما سمعن و رأين، و بكى ابنه الورع الصالح معاوية فكان يقول اذا سئل: «نبكي على بنى أمية لا على الماضين من بنى هاشم».. و مهما تكن غفلة يزيد، أحد قط يلمح تلك البوادر ثم يجهل أنها ضربة هو جاء لن تذهب بغير جريمة، و لن تهون جريمتها فى الحاضر القريب و لا فى الآتى البعيد... و الواقع انها قد استبعت بعدها جرائر شتى لا جريمة واحدة، و ما تنقضى جرائرها الى اليوم... فلم تنقض ستان حتى كانت المدينة فى ثورة حق جارف يقتلع السدود و يخترق الحدود... لأنهم حملوا اليها خبر الحسين محملا التشهير و الشماتة. و ضحك و اليهم عمرو بن سعيد حين سمع أصوات البكاء و الصراخ من بيوت آل النبي، فكان يتمثل قول عمرو بن معذ يكتب: عجت نساء بنى زياد عجفة كعجيج نسوتنا غداة الأربـ [صفحه ١٧٦] و كانت بنت عقيل بن أبي طالب تخرج فى نسائها حاسرة و تنسد: ماذا تقولون ان قال النبي لكم: ماذا فعلتم... و أنتم آخر الأئم؟ بعترتى، و بأهلى، بعد مفتقدى.. منهم أسرى، و منهم ضرجوا بدم ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم تخلفوني بسوء فى ذوى رحمى فكان الأمويون يجيرون بمثل تلك الشماتة، و يقولون كما قال عمرو بن سعيد: «ناعية كناعية عثمان». و لا موضع للشماتة هنا بالحسين، لأنه قد أصيب على باب عثمان و هو يذود عنه و يجتهد فى سقيه و سقى آل بيته.. و لكنها شماتة هو جاء لا تعقل و لا ما تقول.

ثورة المدينة

و للقدر المتاح لجت بالولاة الأمويين رغبتهم فى تلفيق «المظاهرات الحجازية»، فلم يرعوا ما بأهل المدينة من الحزن الاعج و الأسى الدفين. و جعلوا همهم كله أن يكرهوا القوم على نسيان خطب الحسين و اصطدام الولاء المغتصب ليزيد. فحملوا الى دمشق و فدا من

أشرف [صفحه ١٧٧] المدينة لم يلبثوا أن عادوا إليها منكري حكم يزيد مجتمعين على خلع بيته، و راحوا يقولون لأهل المدينة: «انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطناير، و يعزف عنده القيان، و يلعب بالكلاب، و يمسر عنده الحزاب». و قال رئيسهم عبد الله بن حنظلة الانصارى و هو تقىٰ عند القوم لصلاحه و زهده: «لو لم أجد الا بني هؤلاء - و كان له ثمانية بنين - لجاهدت بهم. و قد أعطاني و ما قبلت عطاءه الا لأنقتوى به». و التهبت نار الثورة بالألم المكظوم و الدعوة الموصولة فأخرج المدينون إلى يزيد و جميع من بالمدينة من الأمويين و موالיהם و أعلنوا خلعهم للبيعة.. و صدق ابن حنظلة النية، فكان يقدم بنيه واحداً بعد واحد حتى قتلوا جميعاً، و قتل بعدهم أنفسهم من حياءً يسام فيها الطاعة لزيد و ولاته.. و بدا في ثورة المدينة أن يزيد لم يستفد كثيراً و لا قليلاً من عبرة كربلاء، لأنه سلط على أهلها رجالاً لا يقل في لؤمه و غلبه و سوء دخلته، و ولعه بالشر و التعذيب، و عبته بالقتل و التمثيل، عن عبيد الله بن زياد، و هو مسلم بن عقبة المري. فأمره أن يسوم الثائرين البيعة بشرطه، زياد، و هو مسلم بن عقبة المري. فأمره أن يسوم الثائرين البيعة بشرطه، و أن يستبيح مدینتهم ثلاثة أيام ان لم يبادروا الى طاعته، و كان شرطه [صفحه ١٧٨] الذي سامهم ايام بعد اقتحام المدينة و انقضاء الأيام الثلاثة التي انتظر فيها طاعتهم «انهم يبايعون أمير المؤمنين على انهم خول له يحكم في دمائهم و أموالهم ما شاء». و اذا كان شيء أثقل على النفوس من هذا الشرط، و أقبح في الظلم من استباحة الأرواح والأعراض في جوار قبر النبي عليه السلام.. فذاك هو ولایه هذا النکال بيد مجرم مفطور على الغل و الضغينة مثل مسلم بن عقبة، كأنه يلقى على الناس وزر مرض النفس و مرض الجسد و مرض الدم الذي أبلأه، و لم يبل ما في طويته من رجس و مكيدة. «فاستعرض أهل المدينة بالسيف جرا كما يجزر القصاب الغنم، حتى ساخت الأقدام في الدم و قتل أبناء المهاجرين و الانصار». و أوقع ابن كثير «من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد و لا يوصف».. و لم يكفه أن يسفك الدماء و يهتك الأعراض حتى يتذبذباثارة الآمال و المخاوف في نفوس صرعاهم قبل عرضهم على السييف، فلما جاءوه بمعقل بن سنان صاحب رسول الله هش له و تلقاه بما يطمعه، ثم سأله «أعطيت يا معقل؟.. حوصوا له شربة من سوق اللوز الذي زودنا به أمير المؤمنين».. فلما شربها قال له: «أما و الله لا تبولها من مثانتك أبداً.. و أمر بضرب عنقه...» او يروى ابن قتيبة أن عدد من قتل من الانصار و المهاجرين و الوجوه [صفحه ١٧٩] ألف و سبعمائة، و سائرهم من الناس عشرة آلاف سوی النساء و الصبيان... و حدث واحد من حوادث التمثيل والاستباحة يدل على سائر الحوادث من أمثاله.. دخل رجل من جند مسلم بن عقبة على امرأة نساء من نساء الأمصار و معها صبي لها. فقال: «هل من مال؟» قالت: «لا.. والله ما تركوا لنا شيئاً». قال: «و الله لتخرجن إلى شيئاً أو لاقتلنـكـ و صبيـكـ هذا». فقالت له: «ويحكـ... انه ولد ابن أبي كبيـشـ الانصارـيـ صاحـبـ رسولـ اللهـ». فأخذ بـرـجلـ الصـبـيـ و الشـدـىـ فـجـذـبـهـ مـنـ حـجـرـهـ فـضـرـبـ بـهـ الـحـائـطـ فـانـشـرـ دـمـاغـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ. وـ هـوـ مـثـلـ قـدـ تـكـرـتـ بـعـدـ تـلـكـ الـبـيـوتـ الـتـىـ قـتـلـ فـيـهـ أـوـلـنـكـ الـأـلـوـفـ مـنـ النـسـوـةـ وـ الـأـطـفـالـ وـ الـآـبـاءـ وـ الـأـمـهـاتـ.. وـ قـدـ مـاتـ هـذـاـ السـفـاحـ وـ هـوـ فـيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ مـكـةـ يـهـمـ بـأـنـ يـعـيـدـ بـهـ مـاـ بـدـأـ بـالـمـدـيـنـةـ.. فـدـفـنـ فـيـ الـطـرـيقـ وـ تـعـقـبـهـ بـعـضـ الـمـوـتـورـيـنـ مـنـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ فـبـشـوـاـ قـبـرـهـ وـ أـحـرـقـوـهـ.

جريدة العدل

ولم تنقض سنوات أربع على يوم كربلاء حتى كان يزيد قد قضى نحبه، و نجمت بالكوفة جريمة العدل التي حاقت بكل من مديدا إلى الحسين و ذويه.. [صفحه ١٨٠] فسلط الله على قاتلى الحسين كفوا لهم في النعمة و النکال يفل حديثهم بحديثه و يكيل لهم بالكيل الذي يعرفونه. و هو المختار بن أبي عبيد الثقفي داعية التوابين من طالب ثأر الحسين. فأهاب بأهل الكوفة أن يكفروا عن تقصيرهم في نصرته، و أن يتعاهدوا على الأخذ بثاره فلا يبقين من قاتليه أحد ينعم بالحياة، و هو دفين مذال القبر في العراء.. فلم ينج عبيد الله بن زياد، و لا عمرو بن سعد، و لا شمر بن ذي الجوشن، و لا الحصين بن نمير، و لا خولى بن يزيد، و لا أحد من أحصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدوا أيديهم بالسلب و المهانة إلى الموتى أو الأحياء.. و بالغ في النعمة فقتل و أحرق و مزق و هدم الدور و تعقب الهاريين، و جوزى كل قاتل أو ضارب أو ناھب بكفاء عمله.. فقتل عبيد الله و أحرق، و قتل شمر بن ذي الجوشن و ألهي

أشلاء للكلاب، و مات مئات من رؤسائهم بهذه المثلثات و ألوف من جندهم و أتباعهم مغرقين في النهر أو مطاردين الى حيث لا وزر لهم ولا شفاعة.. فكان بلا ذمهم بالمحظى عدلا لا رحمة فيه، و ما نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المحظى. و لحقت الجريمة الثالثة بأعاقب الجزيرة الثانية في مدى سنوات معدودات.. [صفحة ١٨١] فصمد الحجاز في ثورته أو في تنكره لبني أمية الى أيام عبد الملك ابن مروان، و كان أخرج الفريقين من سبق الى أخرج العملين. و أخرج العملين ذاك الذي دفع اليه - أو اندفع اليه - الحجاج عامل عبد الملك. فنصب المنجنيق على جبال مكة، و رمى الكعبة بالحجارة و النيران فهدمها و عفى على ما تركه منها جنود يزيد بن معاوية. فقد كان قائده الذي خلف مسلم بن عقبة و ذهب لحصار مكة أول من نصب لها المنجنيق و تصدى لها بالهدم و الاحراق.. و مازالت الجرائم تتلاحق حتى تقوض من وطأتها ملك بني أمية، و خرج لهم السفاح الأكبر و أعونه في دولة بنى العباس.. فعموا بنقمتهم الأحياء و الموتى، و هدموا الدور، و نبشوا القبور، و ذكر المنكوبون بالرحمة فتكات المحظى بن أبي عبيد، و تجاوز التأثير كل مدى خطر على بال هاشم و أمية يوم مصرع الحسين. لقد كانت ضربة كربلاء، و ضربة المدينة، و ضربة البيت الحرام، أقوى ضربات أمية ضربات لتمكين سلطانهم و تشتيت بنيائهم و تغليب ملوكهم على المنكريين و المنازعين... فلم يتتصروا عليهم المنكريين و المنازعون بشيء كما انتصروا عليهم بضربات أيديهم و لم يذهبوا بها ضاريين حقبة، حتى ذهبوا بها ضروريين الى آخر الزمان. و تلك جريمة يوم واحد هو يوم كربلاء.. فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مدید الأيام، و اذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من المغلوب اذا وضعت الأعمار المتزوجة في الكفتين.. [صفحة ١٨٣]

نهاية المطاف

من الظافر

غبن أن يفوت الإنسان جزاؤه الحق على عمله و خلقه.. و أتقل منه في الغبن أن ينقلب الأمر فيجزي المحسن بالاساءة، و يجزي المسىء بالحسان.. وقد تواضع الناس منذ كانوا على معنى للتاريخ و الأخلاق، و وجهة للشريعة والدين... و الجزء الحق هو الوجهة الواحدة التي تلتقي فيها كل هذه المقاصد الرفيعة... فإذا بطل الجزء الحق ففي بطانته الاخلاق كل الاخلاقيات بمعنى التاريخ و الأخلاق، و لباب الشرائع والأديان. و فيه حكم على الحياة بالبعث و على العقل الانسانى بالتشویه و الخسار. و الجزء الحق غرض مقصود لذاته يحرص عليه العقل الانسانى كرامة لنفسه و يقينا من صحته و حسن أدائه، كالنظر الصحيح نحسبه [صفحة ١٨٤] هو غرضا للبصر يرتاح الى تحقيقه و يحزن لفواته و ان لم يكن وراء ذلك ثواب أو عقاب، لأن النظر الصحيح سلامه محظوظة و الاخلاقيات به داء كريه. و لا يستهدف هذا القسططاس المستقيم لمحنة من محنـة التي تزرى بكرامة العقل الانسانى، كاستهدافه لها و هو فى مصطلح التضحيـة و المنافع، او فى الصراع بين الشهداء و أصحاب الطمع و الحيلة.. ففي هذا المصطلح يبدو للنظرة الأولى أن الرجل قد أضاع كل شيء و أنهـمـ، و هو فى الحقيقة غانـمـ ظافـرـ. و يبدو لنا أنهـ قد ربح كل شـءـ و انتصر و هو فى الحقيقة خـاسـرـ مهزـومـ.. و من هنا يدخل التاريخ ألمـ مـداـخلـهـ و أـبـينـهاـ عنـ قـيمـةـ الـبـحـثـ فـيـهـ، لأنـ المـدـخـلـ الـذـيـ يـفـضـيـ إـلـىـ الـجـزـاءـ الـحـقـ وـ النـتـيـجـةـ الـحـقـةـ، وـ يـنـتـهـىـ بـكـلـ عـاـمـلـ أـفـلـحـ اوـ أـخـفـقـ فـيـ ظـاهـرـ الـأـمـرـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ مـطـافـهـ وـ غـايـةـ مـسـمـاهـ فـيـ الـأـمـدـ الطـوـيلـ. وـ قـدـ ظـفـرـ التـارـيـخـ فـيـ الـصـرـاعـ بـيـنـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـىـ وـ يـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ بـمـيزـانـ مـاـ صـدـقـ الـموـازـينـ الـتـىـ تـاتـحـ لـتـحـمـيـصـ الـجـزـاءـ الـحـقـ فـيـ أـعـمـالـ الشـهـدـاءـ وـ أـصـحـابـ الطـمعـ وـ الـحـيـلـةـ، فـقـلـمـاـ تـاتـحـ فـيـ أـخـبـارـ الـأـمـمـ شـرقـاـ وـ غـربـاـ عـبـرـةـ [صفحة ١٨٥] كـهـذـهـ الـعـبـرـةـ بـوـضـوحـ معـالـمـهاـ اوـ أـشـواـطـهاـ، وـ فـيـ تـقـابـلـ النـصـرـ وـ الـهـزـيمـةـ فـيـهاـ بـيـنـ الطـوـالـ وـ الـخـوـاتـمـ، عـلـىـ اـخـتـلـافـ مـعـارـضـ النـصـرـ وـ الـهـزـيمـةـ.. فـيـزـيدـ فـيـ يـوـمـ كـرـبـلـاءـ هوـ صـاحـبـ النـصـرـ الـمـؤـزـرـ الـذـيـ لاـ يـشـوـهـ خـذـلـانـ.. وـ حـسـينـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ هوـ الـمـخـذـولـ الـذـيـ لـمـ يـطـمـحـ خـاذـلـهـ مـنـ وـرـاءـ الـظـفـرـ بـهـ إـلـىـ مـزـيدـ... ثـمـ تـنـقـلـ الـآـيـةـ أـيـماـ انـقلـابـ... وـ يـقـومـ الـمـيـزـانـ، فـلـاـ يـخـتـلـفـ عـارـفـانـ بـيـنـ كـفـةـ الـرـجـحـانـ وـ كـفـةـ الـخـسـرانـ... وـ هـذـاـ الـذـيـ قـصـدـنـاـ إـلـىـ تـبـيـنـهـ وـ جـلـائـهـ بـتـسـطـيرـ هـذـهـ الـفـصـولـ. وـ مـاـ مـنـ عـبـرـةـ أـولـىـ مـنـ هـذـهـ

بالتبين والجلاء لدارس التاريخ و دارس الحياة و طالب المعنى البعيد في أطوار هذا الوجود. و لستنا نقول ان الصراع بين الحسين و يزيد مثل جامع لكل ألوان الصراع بين الشهادة و المنفعة أو بين اليمان و المأرب الأرضية، فان لهذا الصراع لألواناً تعدد و لا تتكرر على هذا المثال، و ان له لعناصر لم تجتمع [صفحة ١٨٦] كلها في طرف الخصومة بين الرجلين، و أشواطاً لم تتخذ الطريق الذي اتخذه هذه الخصومة في البداية أو النهاية و لستنا نقول أن الصراع بين الحسين و يزيد مثل جامع لكل ألوان الصراع و تفردها بارزة مائلة للتأمل و التعقيب، و هي ان مسألة الحسين و يزيد قد كانت صراعاً بين خلقين خالدين، و قد كانت جولة من جولات هذين الخلقين اللذين تجاولاً - أحقاباً غابرات و لا - يزالان يتجاولان فيما يلي من الأحقاب، و قد أسفرا عن نتيجة فاصلة ينفرد لها مكان معروف بين سائر الجولات، و ليست جولة أخرى منهن بأحق منها بالتعليق و التصديق... و وجهتنا من هذه العبرة أن يعطى كل خلق من أخلاق العاملين حقه بمعايير لا - غبن فيه.. فإذا سعي أحد بالحيلة فخدع الناس و بلغ مأربه فليكن ذلك مغممه و كفى، و لا ينفعه ذلك في استلام السمعة المحبوبة و العطف الخالص و الثناء الرفيع.. و اذا خسر أحد حياته في سبيل ايمانه فلتكن تلك خسارته و كفى، و لا ينكب فوق ذلك بخسارة في السمعة و العطف و الثناء. فلو جاز هذا لكان العطف الانساني أزيف ما عرفناه في هذه الدنيا من الزيف، لأن خديعة واحدة تستريح و تستبيق. و ما من زيف في [صفحة ١٨٧] العروض الأخرى الا - و هو ينطلي يوماً و ينكشف بقية الأيام.. و اذا كان احتيال الانسان لنفسه معطيه كل ما تبهه الدنيا من غنم النفع و المحبة و الثناء، فقد ربح المحتالون و خسر نوع الانسان. و اذا كانت خسارة المرء في سبيل ايمانه تجمع عليه كل خسارة، فالا - حمق الفاشل من يطلب الخير للناس و يغفل عن نفسه في طلابه. فكفى الواسط ما وصل اليه... و كثير عليه أن يطمع عند الخلف و السلف فيما ادخرته الانسانية من الثناء و العطف لمن يكرمونها بفضيلة الشهادة و التضحية، و يخسرون. و هذا الفضيل العادل أعدل ما يكون فيما بين الحسين و يزيد.. فإذا قيل ان معاوية قد عمل و قد أفلح بالحيلة و الدهاء، فيزيد لم يعمل و لم يفلح بحيلة و لا دهاء... و لكنه ورث المنافع التي يشتري بها الأيدي و السيوف، فجال بها جولة رابحة في كفاح الصمائر و القلوب فينبعى لا يربح بهذه الوسيلة، فأما و قد ربح... فينبغي أن يقف الربح عند ذاك، و ينبعى للغدر الكاذب و الثناء المأجور لا يحسبا على الناس بحساب العذر الصادق و الثناء الجميلو قد تزلف الى يزيد من يتلفون الى أصحاب المال و السلطان ثم [صفحة ١٨٨] أخذوا أجورهم، فينبغي أن يقوم ذلك الثناء بقيمة تلك الأجور و أن يكون ما قبضوه من أجر غاية ما استحقوه، ان كانوا مستحقيه. أما أن يضاف ثناء الخلود الى صفة أولئك المأجورين، فقد أصبح ثناء الخلود اذن صفة بغیر ثمن، او هو علاوة مضمنة على صفة كل مأجور... ان صاحب الثناء المبذول لا يسأل عن شيء غير العطاء المبذول، و لكن التاريخ خلائق أن يسأل عن أعمال و أقوال قبل أن يبذل ما لديه من ثناء. و ليس في تاريخ يزيد عمل واحد صحيح أو مدعى و لا كلمة واحدة صحيحة أو مدعاه، تقيمه بحيث أراده المأجورون من العذر الممهد و المدح المعقول، أو تخوله مكان الترجيح في الموازنـة بينه وبين الحسين... كل أخطائه ثابتة عليه - و منها بل كلها - خطـه في حق نفسه و دولته و رعاياه. و ليس له فضل واحد ثابت و لا كلمة واحدة مؤثـرة تنقض ما وصفـه به ناقدوه و عائـبـه. فقد كانت له ندـحة عن قتل الحسين، و كان يخدم نفسه و دولته لو أنه استـيقـاه حيث يـتـيقـيه و يـرعاـه... و كانت له ندـحة عن ضرب الكـعبـة و استـباحـة المـدـيـنـة و تسـليـطـ أمـثالـ مـسـلـمـ بنـ عـقـبـةـ و عـيـدـ اللهـ بنـ زـيـادـ عـلـىـ خـلـاقـ اللهـ. و كانت له ندـحة عن السـمعـةـ التـىـ لـصـقـتـ بـهـ وـ لمـ تـلـصـقـ بـهـ اـفـتـراءـ وـ لاـ [صفحة ١٨٩] اـدـعـاءـ كـمـاـ يـزـعـمـ صـنـاعـهـ وـ مـأـجـورـهـ،ـ لأنـ وـ اـصـفـيـهـ بـتـلـكـ السـمعـةـ لـمـ يـلـصـقـوـ مـثـلـهـ بـأـبـيـهـ...ـ وـ مـنـ كـانـ حـقـهـ فـيـ النـعـمـةـ التـىـ نـعـمـ بـهـ مـعـتـصـبـاـ يـنـتـزـعـهـ عـنـهـ،ـ لـاـ يـكـنـ حـقـهـ فـيـ الـفـضـلـ وـ الـكـرـامـةـ جـزاـفـاـ لـاـ حـسـيـبـ عـلـيـهـ.ـ وـ تـسـدـيـدـ الـعـطـفـ الـاـنـسـانـيـ هـنـاـ فـرـضـ مـنـ أـقـدـسـ الـفـرـوضـ عـلـىـ النـاظـرـيـنـ فـيـ سـيـرـ الـغـابـرـيـنـ،ـ لـأـنـ الـعـطـفـ الـاـنـسـانـيـ هـوـ كـلـ ماـ يـمـلـكـ التـارـيـخـ مـنـ جـزـاءـ،ـ وـ هـوـ الـثـرـوـةـ الـوـحـيـدـةـ التـىـ يـحـفـظـ بـهـ الـخـلـودـ...ـ وـ اـنـاـ لـنـدـعـ الـخـطـأـ فـيـ سـيـاسـةـ النـفـعـيـنـ،ـ وـ نـنـظـرـ الـيـهـ كـأـنـهـمـ مـصـيـبـوـنـ فـيـ سـيـاسـةـ بـصـرـاءـ بـمـوـاـقـعـ الـتـدـبـيرـ.ـ فـعـلـيـ هـذـهـ الصـفـةـ -ـ لـوـ تـمـتـ لـهـمـ -ـ لـاـ يـحـقـ لـخـادـمـ زـمانـهـ أـنـ يـنـازـعـ الشـهـداءـ فـيـ ذـخـيرـةـ الـعـطـفـ الـخـالـدـ،ـ وـ هـمـ خـدـامـ الـعـقـائـدـ التـىـ تـتـخـطـىـ حـيـاةـ الـأـجـيـالـ كـمـاـ تـتـخـطـىـ حـيـاةـ الـأـفـرـادـ...ـ فـانـ حـرـمـانـ الشـهـداءـ حـقـهـمـ فـيـ عـطـفـ الـأـسـلـافـ خـطـأـ فـيـ الشـعـورـ،ـ وـ خـطـأـ كـذـلـكـ فـيـ التـفـكـيرـ...ـ وـ النـاسـ خـاسـرـوـنـ اـذـ بـطـلـ عـطـفـهـمـ عـلـىـ الشـهـداءـ،ـ وـ لـيـسـ قـسـارـيـ اـمـرـهـمـ أـنـهـمـ قـسـاءـ أـوـ

جاحدون... لأن الشهادة فضيلة تروج و تأتى و تکثر [صفحه ١٩٠] حيناً و تندر في غير ذلك من الأحيان. أما حب المنفعة فان سميته فضيلة فهو من الفضائل التي لن تفارق الأحياء أجمعين، من ناطقة و عجماء. على أن الطابع الآدمي قد أشربت حب الشهداء و العطف عليهم و تقديرهم بغير تلقين و لا نصيحة، و انما تنحرف عن سواء هذه السنة لعارض طارئة أو باقية تمنعها أن تستقيم معها. و أكثر ما تأتي هذه العوارض من تضليل المنفعة و الهوى القريب، أو من نكسة في الطبع تغريه بالضاغن على كل خلق سوى و سجية سمححة محبة إلى الناس عامة، أو من الإفراط في حب الدعوة حتى يغفل المرء من الشهادات استهواه لتكليفها و استعظامها للقدوة بها، فيتهم الشهداء بالهوج و يتعقب أعمالهم بالنقد لكيلا يتهم نفسه بالجبن و الضعف و يستحق المذمة و اللوم في رأى ضميره. و ان لم يتهمهم بالهوج و لم يتعقبهم بالنقد، وقف من فضائلهم موقف ازورار و فتور... و جنح إلى معدنة الآخرين و التفاهم بينه وبين من لا يستشهادون، ثم يعارضون الشهداء فيما يطمحون إليه. و معظم المؤرخين الذين يعارضون الشهداء و دعاتهم لغير منفعة أو نكسة هم من أصحاب الدعوة المفرطة و أنصار السلام الناجية، و يغلب على هذه الخلية أن تسلبهم ملكت التاريخ الصحيح لأنها تعرضهم للخطأ في الحكم و التفكير، كما تعرضهم للخطأ في العطف و الشعور. [صفحه ١٩١] و من المعقين على تاريخ هذه الفترة عندنا - في العربية - مؤرخ يتخذ منه المثل لكل من العذر و العطف حين يصل الأمر إلى الاستشهاد كراهية للظلم و درءاً للمنكرات، و هو الأستاذ محمد الخضرى صاحب تاريخ الأمم الإسلامية رحمه الله... ففي تعقيبه على ثورة المدينة قدمنا الاشارة إليها يقول: ان الانسان ليعجب من هذا التهور الغريب و المظاهر الذي ظهر به أهل المدينة في قيامهم و حدهم بخلع خليفة في امكانه أن يجرد عليهم من الجيوش ما لا يمكنهم أن يقفوا في وجهه. و لا ندرى ما الذي كانوا يريدونه بعد خلع يزيد؟... أيكونون مستقلين عن بقية الأمصار الإسلامية، لهم خليفة منهم يلي أمرهم أم حمل بقية الأمة على الدخول في أمرهم؟ و كيف يكون هذا و هم منقطعون عن بقية الأمصار و لم يكن معهم في هذا الأمر أحد من الجنود الإسلامية؟... انهم فتقوا فتقا و ارتكبوا جرماً فعليهم جزء عظيم من تبعه انتهاك حرمة المدينة، و كان اللازم على يزيد و أمير الجيش أن لا يسرف في معاملتهم بهذه المعاملة... فإنه كان من الممكن أن يأخذهم بالحصار... و يخلي إليك و أنت تقرأ كلام الأستاذ عن هذه الفترة كلها أن لديه أعداء لزيد و ليس لديه عذر لأهل المدينة. لأنه يفهم كيف يغضب المرء [صفحه ١٩٢] لما في حوزته، و لا يفهم كيف تضيق به كراهية الظلم و غيره العقيدة عن الاحتمال... و شعوره هذا يحول بينه وبين الحكم الصحيح على حوادث التاريخ، لأنه يحول بينه وبين انتظار هذه الحوادث حيث تنتظر لا محالة، و استبعادها حيث هي بعيدة عن التقدير. فلم يحدث قط في مواجهة الظلم و انتزاع الدول المكرورة أن شعر الناس كما أرادهم الأستاذ أن يشعروا أو فكرروا في الأمر كما أرادهم أن يفكروا... و مستحيل حدوث هذا أشد الاستحاله، و ليس قصاراً أنه لم يحدث من قبل في حركات التاريخ... فهذه الحركات التي تواجه الدول المكرورة لا - تنتظر - و لا - يمكن أن تنتظر - حتى تربى قوتها و عدتها على ما في أيدي الدولة التي. تكرهها من قوتها وعدة... و لكنها حركة أو دعوة تبدأ بفرد واحد يجريء على ما يهابه الآخرون، ثم يلحق به ثان و ثالث و رابع ماشاء له الاقناع و ضيق الذرع بالأمور، ثم ما ينالهم من نعمة فيشيع الغضب و ينكشف الظلم عنمن كان في غفلة عنه، ثم يشتد الحرج بالظالم فيدفعه الحرج إلى التخيط على غير هدى، و يخرج من تخيط غليظ أحمق إلى تخيط أغلظ منه و أحمق... فلاهم [صفحه ١٩٣] يقفون في امتعاضهم و تذمرهم ولا - هو يقف في بطشه و جبروته، حتى يغلو به البطش و الجبروت فيكون فيه وهنه و القضاء عليه. على هذا النحو يعرف المؤرخ الذي يعالج النفوس الآدمية ما هو من طبعها و ما هو خلائق ان يتضرر منها، فلا يعالجها حق العلاج على أنها مسألة جمع و طرح في دفتر الحساب بين هذا الفريق و ذالك الفريق. و على هذا النحو تكون حركة الحسين قد سلكت طريقها الذي لا بد لها أن تسلكه، و ما كان لها قط من مسلك سواه. وصل الأمر في عهد يزيد إلى حد لا يعالج بغير الاستشهاد و ما نحا منحاه... و هذا هو الاستشهاد و منحاه. و هو - بالبداية التي لا تحتاج إلى مقابلة طويلة - منحى غير منحى الحساب و الجمع و الطرح في دفاتر التجار. و مع هذا يدع المؤرخ طريق الشهادة تمضي إلى نهاية مطافها ثم يتناول دفتر التجار كما يشاء... فإنه لو اجاد في نهاية المطاف أن دفتر التجار لن يكتب الرابع إلا في صفحة الشهداء. فالدعاة المستشهادون يخسرون حياتهم و حياة ذويهم، و لكنهم يرسلون دعوتهم من بعدهم ناجحة

متفاقمة فتظرف في نهاية مطافها بكل شيء حتى المظاهر العرضية والمنافع الأرضية... و أصحاب المظاهر العرضية والمنافع الأرضية يكسبون في أول [صفحة ١٩٤] الشوط ثم ينهزمو في وجه الدعوة المستشهدة حتى يخسروا حياتهم أو حياة ذويهم، وتوزن حظوظهم بكل ميزان، فإذا هم بكل ميزان خاسرون... و هكذا أخفق الحسين و نجح يزيد... و لكن يزيد ذهب إلى سبيله و عوقب أنصاره في الحياة و الحطام و السمعة بعده بشهور، ثم تقوضت دولته و دولته خلفائه في عمر رجل واحد لم يجاوز الستين... و انهزم الحسين في كربلاء و أصيب هو و ذووه من بعده و لكنه ترك الدعوة التي قام بها ملك العباسين و الفاطميين و تعلل بها أناس من الأيوبيين والعثمانيين، واستظل بها الملوك والأمراء بين العرب و الفرس و الهنود، و مثل للناس في حلقة من النور تخشع لها الأبصار... و باء بالفخر الذي لا فخر مثله في توارييخ بنى الإنسان غير مستثنى منهم عربي و لا أعمى و لا قديم و لا حديث.

أبوالشهداء

فليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدّة و قدرة و ذكره... و حسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبوالشهداء في مئات السنين... [صفحة ١٩٥] وأيسر شيء على الضعفاء الهازلين أن يذكروا هنا طلب الملك ليغمروا به شهادة الحسين و ذويه... فهؤلاء واهمون ضالون مغرقون في الوهم و الضلال... لأن طلب الملك لا يمنع الشهادة، و قد يتطلب الرجل الملك شهيدا قديسا و يطلب و هو مجرم بريء من القداسة... و إنما هو طلب و طلب، و إنما هي غاية و غاية، و إنما المعمول في هذا الأمر على الطلب لا على المطلوب. فمن طلب الملك بكل ثمن، و توسل له بكل وسيلة، و سوى فيه بين الغصب و الحق وبين الخداع و الصدق وبين مصلحة الرعية و مفسدتها، ففي سبيل الدنيا يعمل لا في سبيل الشهادة. و من طلب الملك و أباه بالثمن المعيّب، و طلب الملك حقا و لم يطلبه لأنه شهود و كفى، و طلب الملك و هو يعلم أنه سيموت دونه لا محالة، و طلب الملك و هو يعتذر بنصر الإيمان و لا يعتذر بنصر الجنادل و السلاح، و طلب الملك دفعا للمظلمة و جلبا للمصلحة كما و صحت له بنور إيمانه و تقواه، فليس ذلك بالعامل الذي يخدم نفسه بعمله، و لكنه الشهيد الذي يلبي داعي المروءة و الأرياحية و يطيع وحى الإيمان و العقيدة و يضرّ للناس مثلا يتتجاوز حياة الفرد الواحد و حياة الأجيال الكثيرة... من ثم يقيم الآية على حقيقة الحقائق في أمثل هذا الصراع بين الخلقين أو بين المزاجين و التاريحين... [صفحة ١٩٦] و هي أن الشهادة خصم ضعيف مغلوب في اليوم و الأسبوع و العام... و لكنها أقوى الخصوم الغابلين في الجيل و الأجيال و مدى الأيام. و هي حقيقة تؤيدها كل نتيجة نظرت إليها بعين الأرض أو بعين السماء على أن تنظر إليها في نهاية المطاف. و نهاية المطاف هي التي يدخلها «نوع الإنسان» في حسابه و يوشج عليها و شائج عطفه و اعجابه. لأنه لا يعمل لوجبات ثلاثة في اليوم، و لا ينظر إلى عمر واحد بين مهد و لحد، و لكنه يعمل للدوم و ينظر إلى الخلود... [صفحة ١٩٧]

عاشق الجمال

إذا لحقت السيرة بعالم المثال الذي يتطلع إليه خيال الشعراء و تتعنى به قرائح أهل الفن، فقد تنزهت عن ربقة الجسد و أصبحت صورة من الصور المثلى في عالم الجمال... و من آيات الجمال انه يتحدى المنفعة و يؤثر البطولة على السلامة... فإذا تعلقت القرىحة بالجمال، فلا جرم ترن الأمور بغير ميزان الحساب و الصفقات... ف تعرض عن النعمة و هي بين يديها و تقبل على الألم و هي ناظرة إليه، و تلزمها سجية العشق الأخذ بالأعنة، فتنقاد له و لا تنقاد لنصيحة ناصح أو عذل عاذل... لأن المشغوف بالجمال ينشده و لا يالي ما يلقاه في سبيله... و قد تمثلت سجية عاشق الجمال في كل شعر نظمه شعراء الحسين و ذويه تعظيمًا لهم و ثناء عليهم... فلم يتوجهوا إليهم ممدوا حين و إنما اتجهوا [صفحة ١٩٨] إليهم صورا مثلّى يهيمون بها كما يهيم المحب بصورة حبيبه، و يستعدّبون من أجلها ما يصيّبهم من ملام و ايلام. و في معنى لهذا المعنى يقول الكميّت شاعر أهل البيت: طربت و ما شوقا إلى البيض أطرب و لا لعبا مني، و ذو الشيب يلعب و لم يلهني دار و لا. رسم منزل و لم يتطرّبني بنان مخصوص و لا. أنا من يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب و لا

الساحرات البارحات عشية أمر سليم القرن أم أمر اعصب [٣]. ولكن الى أهل الفضائل والنهى و خير بنى حواء، و الخير يطلب الى النفر البيض الذين بجهنم الى الله فيما نالني أتقرب [صفحه ١٩٩] بنى هاشم، رهط النبي، فانى بهم و لهم أرضى مرارا و أغصب خففت لهم مني جناحى مودة الى كنف عطفاه أهل و مرحبا يشيرون بالأيدي الى و قولهم الا- خاب هذا، و المشيرون أخيب فطائفه قد كفرتني بجكم و طائفه قالوا: مسيء و مذنب فما ساعنى تكفي هاتيك منهم و لا- عيب هاتيك التي هي أعيوب عيونى من خبئهم و ضلالهم على حكم، بل يخسرون و أعجب و قالوا: ترابي [٤] هواء و رأيه بذلك أدعى فيهم و القب على ذالك اجريا، فيكم ضررتني ولو جمعوا طرا على و أجلبوا [صفحه ٢٠٠] وأحمل أحقاد الأقارب فيكم و ينصب لي في الأبعدين فأنصب و قد مر بنا حديث زين العابدين رضى الله عنه، و هو غلام عليل أوشك أن يتخطفه الموت بكلمة من عبيد الله بن زياد لأنه استكبر «أن تكون به جرأة على جوابه». فهذا الغلام العليل قد عاش حتى انعقد له ملك القلوب حيث انعقد ملك الأجسام لهاشم بن عبدالملك سيد ابن زياد و آله... و ذهب هشام بين جنده و حشمه يحج البيت و يتراضى الناس، فلم يخلص الى الحجر الأسود لتراحم الحجيج عليه. و انه لجالس على كرسيه ينتظر انقضاض الناس اذا بزین العابدين يقبل الى الحجر الأسود في وقاره و هيته، فيتنحنى له حاشية هشام هذه المهابة التي لم يرها لمولاه فيسأل: «من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة!» و يخشى هشام أن يطلع جنده على مكانة رجل لم يتطاول الى مثل مكانته بسلطانه و عتاده فيقول: «لا أعرفه»... و يقتضب الجواب. و هذا الذي تصدى له شاعر آخر قد غامر بحياته و نواله ليقول بالقصيدة المحفوظ ما ثقل على لسان هشام أن يقوله في كلمتين عابرتين... و ذلك هو الفرزدق حيث قال: [٥] هذا الذي تعرف البطحاء و طأته و البيت يعرفه و الحل و الحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر صفحه ٢٠١ العلم هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنياء الله قد ختمواو ليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت، و العجم اذا رأته قريش قال قائلها: الى مكارم هذا ينتهي الكرم من عشر جبهم دين، و بعضهم كفر، و قربهم منجي و معتصم و تصدى عبيدة بن كثير لأمير مكة - خالد بن عبيدة الله - فلعنوه و هو قادر على قتلها لأنه يلعن عليا و حسينا في خطبه، و أنسد: لعن الله من يسب عليا و حسينا من سوقه و امام [صفحه ٢٠٢] أيس المطهرون جدوا و الكرم الآباء و الأعمام يأمن الطير و الحمام ولا يأوي من آل الرسول عند المقام طبت بيها و طاب أهلك أهلاً أهل بيته و الاسلام رحمة الله و السلام عليه كلما قام قائم بسلام و تنقضى السنون و تتسامح العربية بشاعر فحل لم يسلم من لسانه أحد، و لم ينزع أحدا من المجلين أو المقترفين عليه عن استحقاق الهجاء... فكان ينشد الأبيات المقدعة، و يسأل عن صاحبها فيقول: «لم يستحقها أحد بعينه بعد، و لسوف يستحقها كثيرون». هذا الشاعر العجيب هو دعبدل الخزاعي الذي يهز أوتار النفوس بأمثال هذه الأبيات في آل البيت: مدارس آيات خلت من تلاوة و متزل وحى مقفر العرصات!... [صفحه ٢٠٣] لا آل رسول الله بالخيف من مني و بالركن و التعريف و الحجرات ديار على، و الحسين و جعفر و حمزه، و السجاد ذى الثفنات [٦]. ديار عفاتها كل جون مبادر و لم تعف للأيام و السنوات الى أن يقول: ملامك في أهل النبي فانهم أحبائي ما عاشوا و أهل ثقافي فيا رب زدني من يقيني بصيرة و زد جبهم يا رب في حسنتي أحب قصى الرحيم من أجل جبهم و أهجر فيهم أسرتي و بناطي لقد حفت الأيام حولي بشرها و اني لأرجو الأمان بعد وفاتي [صفحه ٢٠٤] ألم تر أني من ثلاثين حجة أروح و أغدو دائم الحسرات أرى فيهم في غيرهم متقدسا و أيديهم من فيهم صفات فـآل رسول الله نحف جسومهم و آل زياد حفل القصرات [٧]. بنايات زياد في القصور مصونة و آل رسول الله في الفلووات!... اذا و تروا مدوا الى أهل و ترهם أكفا عن الأوتار منقبضات!... و وهب على بن موسى الرضا للشاعر جائزة من دراهمه المضروبة باسمه و خلع عليه من ثيابه، فبدل له أهل الشام «قم» ثلاثين ألف درهم ليعفهم الخلعة فضن بها. ثم ترصدوا له في الطريق ليأخذوها منه عنوة تبركا و ذكرى. فسمح بالمال و لم يسمح بالخلعة... و استرضوه فلم يرض الا أن يعطوه كما من أكمامها ليُدفن معه في كفنه، و تقسما الخلعة بينهم [صفحه ٢٠٥] فخورين بها غير مبالين ما بذلوه في ثمنها. و انقضت فترة لم تطل... و تسامعت العربية بشاعر آخر أفشل من دعبدل و أقدر منه على التصرف بالهجاء و المديح. ذلك هو أبوالعباس على بن الرومي الذي

نسى ممدوحية من آل طاهر و بنى العباس ليذكر حق حفيده الحسين يحيى بن عمر الشهيد. و لو كلفه ذكره القتل والحرمان. و في بعض ما ساقه من النذر لأمراء زمانه مهلكة له قلما يفلت منها قائل ب حياته، و ذاك حيث يقول من قصيده الجيمية: غرتم لتن صدقتم أن حالة تدوم لكم، و الدهر لونان، أخرج لعل لهم في منطوى الغيب ثائرا سيسمو لكم و الصبح في الليل مولج بمجر تضيق الأرض من زفاته له زجل ينفي الوحوش و هز مج [٧]. يود الذى لا يقوى أن سلاحة هناك خلخال عليه و دملج [صفحة ٢٠٦] فيدرك ثار الله أنصار دينه والله أوس آخر و خزرج و يقضى امام الحق فيكم قضاءه مبينا، و ما كل الحوامل تخدج و كل أولئك شاعر ينسى التقوى في مواطن شتى من عمله و قوله ولا ينساها في حق الشهداء من آل الحسين و صحبه... لأنه يحس الجمال احساس الشعراء و يهتز «للصورة المثلث» اهتزاز الأريحية التي يحمل بها رواد الخيال. فهم هنا بمرباء من قيود العيش و وساوس الحاجة و أعباء التوازع الأرضية، يستوحون سليقة القول فيما ينبغي أن يقال... فيجري على لسانهم كأنهم مسوقون إليه... بل كان أولئك شاعر لا يسخو بالمدح و هو موصول بالعطاء الجزيء، ثم هو يسخو به للشهداء و آلهم على غير أمل في نوال، و على خوف شديد من الحرمان و الوصال... و شاعر آخر لم يكن يهجو من الناس هذا أو ذاك، و لكنه كان سيء الظن بالناس أجمعين... و كان يقول ما بدا له في الدنيا و الدين، و لكنه يجامل مع المجاملين فلا يقصر عن شاؤهم في السابقين أو اللاحقين. ذلك هو أبوالعلاء المعري حيث قال في الفجر و الشفق: [صفحة ٢٠٧] و على الدهر من دماء الشهيد بن على و نجله شاهدان فهما في أواخر الليل فجران و في أولياته شفقان ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعديا إلى الرحمن و ان وحى الشعر من سرائر النفوس لأصدق حكما من لسان التاريخ اذا اختلف الحكمان... و لكنهما قد توفيا معا على مقال واحد... فجلوا لنا من سيرة الحسين رضي الله عنه صورة الجمال في عالم المثال، و كذلك يعيش ما عاش في أخلاق الناس.

پاورقی

- [١] معج الفرس: أسرع سيره في سهولة.
- [٢] ذكر النعام.
- [٣] السانح: الطير الذي يمن من السيار الى اليمين و عكسه البارج، و الاعض: المكسور.
- [٤] من كنى على بن أبي طالب «أبوتراب» و ترابي نسبة اليه.
- [٥] كان على بن الحسين يلقب بذى الثفنات لأن جبهته أصبحت كثفة البعير - أى ركبته - من كثرة السجود.
- [٦] القصرة الرقبة، و حفل القصرات أى غلاظ الرقب من السمن.
- [٧] الهمجية اختلاط الصوت، و المجر الجيش الكبير.

تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا يا موالِكم وَأَنْقُسُّكم في سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبية/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحْمَ اللهُ عَنِّي أَخْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بنادر البحر - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الإسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧.

مؤسس مجتمع "القائمة" الشفافى بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" - "رحمه الله" - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضور الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عَجَلَ اللهُ تعالى فرجه الشَّرِيفَ)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠).

الهجرية القمرية)، مؤسسةً و طريقةً لم ينطفي مصباحها، بل تُتَّبع بأقوى وأحسن موقفٍ كل يوم. مركز "القائمة للتحرّي الحاسوبي" - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنتهّطه من سِنَة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناء سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزّه - و مع مساعيَّمَه جمعٍ من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتَّى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السلام) و معارفهم، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحرّي الأدقّ للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعه - مكان البلاطـيـثـ المـبـذـلـهـ أوـ الرـدـيـهـ - في المحامـيلـ (=الهواتف المنقولـهـ) و الحواسـيبـ (=الأجهـزـهـ الـكـمـبـيـوـتـرـيـهـ)، تمـهـيدـ أـرـضـيـهـ وـاسـعـهـ جـامـعـهـ ثـقـافـيـهـ عـلـىـ أساسـ مـعـارـفـ القرآنـ وـ أـهـلـ الـبـيـتـ عليهـمـ السـلـامـ - بـيـاعـثـ نـشـرـ الـمـعـارـفـ، خـدـمـاتـ لـلـمـحـقـقـيـنـ وـ الطـلـابـ، توـسـعـةـ ثـقـافـةـ القرـاءـهـ وـ إـغـنـاءـ أـوـقـاتـ فـرـاغـهـ هـوـاـ برـامـيجـ العـلـومـ الإسلاميةـ، إـنـالـهـ المـنـابـعـ الـلـازـمـهـ لـتـسـهـيلـ رـفـعـ الإـبـاهـ وـ الشـبـهـاتـ الـمـنـتـشـرـهـ فـيـ الجـامـعـهـ، وـ...ـ

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بـشـهـاـ بـالـأـجـهـزـهـ الـحـدـيـثـ مـتـصـاعـدـهـ، عـلـىـ أـنـهـ يـمـكـنـ تـسـرـيـعـ إـبـراـزـ الـمـرـاقـيقـ وـ التـسـهـيـلـاتـ - فيـ آـكـنـافـ الـبـلـدـ - وـ نـشـرـ الشـفـافـيـهـ الـاسـلـامـيـهـ وـ الإـيـرانـيـهـ - فـيـ آـنـحـاءـ الـعـالـمـ - منـ جـهـهـ أـخـرىـ.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتبية، نشرة شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة
 ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول
 ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (=بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...
 د) إبداع الموقع الإلكتروني "القائمة" www.Ghaemyeh.com و عدة مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في الفنون القمرية

و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الأخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجامع، الأماكن الدينية كمسجد جمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسة
 ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضياً) طيلة السنة
 المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق وفائى" / بناية "القائمة"
 تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: (٠٣١١) ٢٣٥٧٠٢٢

مكتب طهران: (٠٢١) ٨٨٣١٨٧٢٢

التجاريّة والمبيعات .٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين (٤٥) ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعية، غير حكوميّة، وغير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُواكب الحجم المتزايد والمتيسّع للامور الدينيّة والعلميّة الحالية ومشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّح هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسَمَّى بالقائميّة) ومع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً مترائداً لِإعانتهم - في حد التمكّن لكلٍّ أحدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
أرجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

